مَدَارِجُ فِي تَارِيخِ النَّحْوِ وَأُصُولِهِ وَالخِلَافِ فِيهِ

إعداد
د.محمد أبو القاسم حسن

صفر ١٤٣٣ه - يناير ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

نحويات

(١)

مَدَارِجُ في تاريخ النَّحْوِ وَأُصُولِهِ وَالخِلَافِ فيهِ

د / محمد أبوالقاسم حسن

صفر ١٤٣٣ هـ - يناير ٢٠١٢م

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر – السودان

٤١٥.٣ محمد أبو القاسم حسن عباس ، ١٩٦٥

م أ . م

مدارج في تاريخ النحو وأصوله والخلاف فيه / محمد أبو القاسم حسن عباس الخرطوم : م . أ حسن عباس ، ٢٠١٢م .

ردمك : ٩-٣٧-٦٠-٩٩٩٤٢-٩٧٨

- **اللغة العربية – النحو – مدارس**

- **اللغة العربية – الانحو – تاريخ .**

إهــــداء

إلى أبنائي

وبناتي

وطلابي مع حبي .

ورجائي الواثق أن تكونوا

أفضل مني ومن جيلي

محمد

تقديم

الحمد لله الذي أنعم علي الإنسان باللغة والبيان ، وأرسل إليه كتابه المبين بلغة خير المرسلين محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم ، وبعد

فعلوم اللغة العربية علوم ارتبطت بدين الأمة وكتابها المعجز، الذي استمدت منه علوم اللغة مسائلها وفروعها وأبوابها ، ومنها علم النحو الذي يعنى بحسن تركيب الكلام ، ومن المهم لدارسه تتبُّع نشأته الأولي وأسبابها ودراسة تطوره حتى بلغنا ، لأن هذا مما يجعله أقرب منالاً وأسهل مجتنًى ، فجاءت هذه الصفحات: (مدارج في تاريخ النحو وأصوله والخلاف فيه) ليدرج عليها المختصّ المبتدئ والقارئ المهتم في التعرف علي كيفية بزوغ علم النحو وتطوّره، وفهم الأسس التي بني عليها، ومنابعه التي يستمد منها وكيفية استمداده ، وتفرعه بعد ذلك وتنوُّع مشاربه ، فيقف علي قاعدة صلبة إن شاء صعد بعدها لما يستبين له من مظانّ سير النحاة وتراجمهم وكتبهم ، وقضايا النحو ومصنفاتها ومسائل الخلاف و جدلها ، وغير ذلك مما ينفتح عليه الباب بهذه الصفحات .

والموضوعات التي ترد في هذه الصفحات مما كتب فيه سابقون ومعاصرون، ركز بعضهم علي التاريخ وتفاصيل حياة العلماء ، تعجل آخرون الوقوف عند الخلاف ، وفصَل بعضهم النشأة الأولى عن الاكتمال والتطوُّر ، ومنهم من خصّ أصول النحو بتأليف مستقل ، ولكلّ نوع من هذه المؤلفات ميزته ، أما ما قصدت هذه الصفحات من ميزة فهو :

أولاً: أن تبدأ ببيان مصطلحات ترد عند الحديث في نشأة النحو وتطوّره .

ثانياً : أن يتسلسل العرض مركزاً على موضوع النحو لا علي أشخاص العلماء وحياتهم وأرائهم ، ويشمل التسلسل ما يعين علي تتبعه من فهم مبسّط لأصول النحو قبل عرض الخلاف النحوي ، لرجوع بعضه لاختلاف منهج الاستدلال.

ثالثاً : الاختصار وتيسير العبارة والأسلوب بما يمكن القارئ العادي من استيعاب جوانب نشأة النحو وتطوّره .

وهذا التتبع سبيله المنهج التاريخي الذي كان لابد من الميل عنه قليلاً عند شرح أصول النحو ، وإن كان العرض فيها غالبه علي هذا النهج . وقد حوي هذا المختصر تمهيداً فيه تفسير لمفاهيم ومصطلحات ، وثلاثة أقسام : أولها في نشأة النحو بدءاً من الدوافع والأسباب وأول ما وضع منه ثم ما بني علي ذلك حتي اكتمل واستوي علماً له نظريته وقواعده المكتوبة ، وثانيها في أصول النحو وصلتها بغيرها من العلوم وشرح كل أصل وما يتصل به ، وثالثها : في الخلاف النحوي من حيث ظهوره ومؤلفاته ونتائجه واستمراره بأشكال مختلفة عند انتشار النحو في الأمصار .

وقد أعان علي إعداد هذا المختصر معينون ، **أولهم** : مهنة التدريس التي لا ينفك شاغلها باحثاً عما يقرّب البعيد ويذلل الصعب في علمه . **وثانيهم** : زملاء في هذه المهنة ، أظل بينهم متعلماً . **وثالثهم** : طلاب أخص منهم دفعة الفرقة الرابعة بكلية اللغة العربية بجامعة القرآن الكريم عام ٢٠٠٤ -٢٠٠٥م التي كانت أول دفعة أدرس لها مقرراً في موضوع المختصر كان باسم (المدارس النحوية) وإن اختلفت تفاصيله عن تفاصيل هذه الصفحات قليلاً .

وإن خصصت هؤلاء الثلاثة فغيرهم كثير الله به عليم ، وهو الحفيظ المنعم الذي يجزي بلا حدود سبحانه ، له الحمد أولاً وأخراً .

تمـــــــهـــــــيد

مصطلحات ومفـاهيـم

دراسة نشأة النحو العربي من الأمور المهمة لفهم طبيعته، واستيعاب قواعده والاختلافات فيه ، وارتباطه بعلوم أخرى ومدى أصالته وعروبته مقابل ما دخله من غيره في نظر بعض الدارسين، كما أنها مدخل مهم لدراسة الخلاف النحوي ، الذي نبع من منشئه في بيئتين لكلٍّ طبيعتها المكانية والاجتماعية والسياسية وذلك في البصرة ثم الكوفة ، وإن جمعتهما بيئة العراق الكلية ، وتمز مصطلحات في هذه الدراسة لا بد من الاتفاق على حدود لها وفق ما يعبر به عنها في كتب تراجم النحاة ومدونات النحو ، وقبل ذلك نقف عند مفهوم النحو.

النحو العربي:

جاءت كلمة النحو في اللغة لمعانٍ نظمها الداوودي بقوله :

النحو في لغة : قصدٌ ، كذا مثلٌ ، وجانبٌ ، وقريبٌ ، بعضُ ، مقــدارٌ
نوعٌ ، ومثلٌ ، بيانٌ ، بعد ذا عقبٌ ، عشر معانٍ لها في الكل أسرارٌ[1]

ولم يذكر الأولون مصطلح النحو أول أمرهم بل كانوا يقولون علــم العربية ، وعرَّف علماء العربية اصطلاح النحو مــن قــديم بتعريفــات اهتمت بغايته وتطبيقه ، ولم يعطوه تعريفاً تجريدياً أي مبيناً لمعنــاه دون

[1] حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١٠/١ (جامع المعاجم العربية / قرص حاسوبي /شركة العريس).

تمثيل أو تصوير أو نحوه ، إذ لم يورد سيبويه[2] في (الكتاب) – وهو أول مؤلَّف نحوي يصلنا – تعريفاً للنحو ، بل تحدث عن (مجاري أواخر الكلم في العربية)[3]، ثم تحدث عن العامل ، وكأنه يلخص مفهوم النحو بمدخلين أحدهما دراسة الأثر في آخر الكلمة ، والآخر دراسة السـياق وعلاقـة المفردات فيه ببعضها وأثرها في بعض وهذا ما اختزله بكلمة العامـل.

وعرفه نده الكسائي بـ: "النحو قياس يتبع"، وقال ابن السراج[4] :"النحـو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كـلام العـرب" ، وبمثلـه قـال الفارسي: "النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العـرب"[5] ، وعرّفه ابن جني في الخصائص بأنه :" انتحاء سمت كلام العـرب فـي تصرفه من إعراب وغيره"، وأنه يؤدي لأن يلحق من لـيس مـن أهـل العربية بأهلها.

ومن لدن هذه التعريفات القديمة توالت الأقوال في معنى النحو ، وحد ما يدخله من موضوعات ، فقصرته بعض التعريفات على أنه العلم الذي يهتم بضبط أواخر الكلمات ، مع أن التراث النحوي واللغوي لا يحصره هذا الحصر ، يقول ابن فضال :" فإن النحو علم يُعرف به حقائق المعاني ، ويوقف به على معرفة الأصول والمباني، ويحتاج إليـه فـي معرفـة

---

[2] يرد التعريف به داخل الكتاب.

[3] سيبويه : الكتاب (تحقيق عبدالسلام محمد هارون) / دار الجيل /بيروت /ج ١/ص١٣.

[4] ابن السراج هو أبوبكر محمد بن السريّ بن سهل البغدادي ، ت٣١٦هـ ومن أهم اثاره كتاب (الأصول في النحو) الذي منه التعريف المذكور .

[5] أبو علي الفارسي : التكملة(بتحقيق كاظم بحر المرجان)جامعة الموصل /العراق/د.ط ١٩٨١م ص ١٦٣ (الورقة الأولى من المخطوط).

الأحكام ، ويستدل به على الفرق بين الحلال والحرام، ويُتوصل بمعرفته إلى معاني الكتاب، وما فيه من الحكمة وفصل الخطاب " ، وغايته الوصول لسمت كلام العرب كما عبر ابن جني ، فعلم النحو غايته : "إعراب (أي تبيين) المعاني السياقية من أجل اتخاذها وسيلة تضبط بها حالات الهواء في آخر الاسم"[٦]، فالأصل تبيين المعاني ، لذلك أقول في تحديد النحو بأنه : (علم إحسان تركيب الكلام)؛ ويدخل فيه ربط العوامل بالمعمولات ، وضبط الآخر ، والموقع تقديماً وتأخيراً ، وتأويل المحذوفات. وقد ذكر صاحب (إحياء النحو) هذا المعنى في قوله :"فإن النحو- كما نرى ، وكما يجب أن يكون عليه – هو قانون تأليف الكلام ، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة ، والجملة مع الجمل ، حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها"[٧]. ومفهوم النحو في كونه نظاماً لتأليف الكلام محاكاةً للمسموع وتصويب الخطأ وِفْقَهُ اصطلح عليه بـ(النحو العملي) ، أما عند وضع المعايير والقواعد في أبواب فهو (النحو العلمي).

اللحن:

تعددت معاني كلمة اللحن في كتب اللغة واستعمال العرب لها[٨]، ففيها المعنى الأشيع وهو التنغيم ، ومن معانيها تحريف القول كما ورد

---

[٦] اصيل الصيف الأصولي (أحمد بن محمد أمين بن احمد هزايمة): الإجابة في أصول فقه النحو / مكتبة الرافدين إربد/جامعة اليرموك / البوابة الشمالية ص١٩.

[٧] إبراهيم مصطفى : إحياء النحو /لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة/ط٢ ١٩٩٢م ص١

٨ وردت ستة معان في مادة(ل.ح.ن) في معاجم اللغة ،وهي: الخطأ في اللغة والتعريض واللغة والفطنة والطرب والمعنى. (انظر: مادة (ل.ح.ن) في : الصحاح ، لسان العرب ، القاموس المحيط).

في القرآن ، وإخفاء المعني تحت لفظ يدل على غيره كما ورد في الحديث وغير ذلك ، إلا أن المقصود بها عند النحاة : الخطأ في اللغة.

الإعراب:

الإعراب في اللغة الإبانة والإظهار ، أورد ابن منظور في لسان العرب:" وقال الأزهري الإعراب والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة يقال أعرب عنه لسانه وعرُبَ أي أبان وأفصح، ....، وإنما سمي الإعراب إعرابا لتبيينه وإيضاحه" وأورد كذلك: "والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب"[٩]. والإعراب في اصطلاح النحاة :"أثر ظاهر أو مقدَّر يجلبه العامل في آخر الكلمة"[١٠] ، وحالاته رفع ونصب وجر وجزم كما بيَّن سيبويه فيما تقدم،ويختص بالاسم والفعل المضارع ، ومن الناحية العملية إجراء عملية الإعراب يحدد موقع الكلمة الإعرابي وحالتها الإعرابية وعلامة الإعراب . والإعراب يدل على المعنى والمعنى يدل عليه.

أصول النحو :

أدلته الكلية التي تستنبط منها أحكامه ، كأصول الفقه بالنسبة للفقه ، وترد مفصّلة في بابها.

الترجمة :

---

[٩] ابن منظور : لسان العرب /مادة ع ر ب.http://www.lesanarab.com .

[١٠] ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)/ دار الطلائع /القاهرة /ط٢٠٠٤م ٣٨/١.

الترجمة في اللغة التفسير ، وتستعار لبيان سيرة شخص ما ببيان مولده ونشأته وعلمه ونحو ذلك ، والجمع تراجم ، ومن مصادر تاريخ النحو والنحاة كتب تراجم النحاة.

الطبقة:

الطبق في اللغة الغطاء ، والحال ، والشبيه ومنه المثل : وافق شنٌّ طبقة ، وقيل في تفسير :"سبعا طباقا"أي بعضها فوق بعض ،وقال ابن منظور :"وقيل الطبقة عشرون سنة " ،وقال :"وإنما قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتي طبق للأرض آخر وكذلك طبقات الناس كل طبقة طبقت زمانها والطبقة الحال يقال كان فلان من الدنيا على طبقات شتى"[١١]. فأبان أساس الطبقة اللغوي في الغطاء واستعمالها في طبقات الناس ، أي المجموعة منهم المتشابهة أو التي عاشت في زمن معا حده عشرون عاما ، ويقال (طبقات النحاة) أي كل مجموعة منهم جمعها مشابهة أو زمن ، والغالب في تسمية الطبقة من النحاة أنها مجموعة منهم تلقت عن عالم واحد ، وأشهر تقسيم لطبقات النحاة تقسيم الزبيديّ صاحب (طبقات النحويين واللغويين) الذي قسم فيه البصريين لعشر طبقات والكوفيين لست، ثم يذكر المصريين ، ثم المغاربة باسم القرويين ثم الأندلسيين.

---

[١١] ابن منظور : لسان العرب :مادة ط ب ق.http://www.lcsanarab.com .

القسم الأول
في نشأة النحو

(١) أسباب وضع النحو

اللحن أبرز الأسباب:

اللحن كان الدافع الأول لوضع النحو، هذا ما تجمع عليه الدراسات القديمة والحديثة ، ولكن السؤال هل هذا اللحن عرف بعد الإسلام واختلاط العرب بالأعاجم أم انه كان ظاهراً قبل ذلك ؟!. روت كتب التاريخ والتراجم والأدب لحوناً جاهلية منها:

١. قصة إقواء النابغة[١٢] في الدالية و"بذاك نبأنا الغراب الأسود" والتي نقلها بعد سماعه غناءها بالمدينة إلى " وبذاك تنعاب الغراب الأسود "[١٣] .

٢. تسكين الفعل(يرتبط)دون أن يسبقه جازم في بيت لبيد[١٤] التالي ، وهو من معلقته :

ترّاك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبطْ بعض النفوس حمامها[١٥]

٣. اتهام بعض الشعراء بالصلة بالأعاجم مما يضعف الاحتجاج بهم، فيذكر ابن قتيبة عدم استشهاد العرب بشعر عديّ بن زيد[١٦] لأنه "كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه، والعلماء لا يرون شعره

---

١٢ النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية الذبياني في الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية، اتصل بالنعمان بن المنذر وخصه بمدائحه ثم اعتذارياته.

١٣ الأصفهاني: الأغاني:٩٧/٢.

١٤ لبيد بن ربيعة العامري: شاعر فحل من أصحاب المعلقات، فارس جواد، أدرك الإسلام وأسلم، توفي سنة ٤١ هـ بعد عمر طويل .

١٥ أبوزيد محمد بن الخطاب القرشي : جمهرة أشعار العرب (بتحقيق علي محمد البجاوي) الهيئة القومية للكتاب/ القاهرة/ د.ط/د.ت/ص٢٦٠ ، وانظر في التعليق على إعرابه : القاضي الجرجاني (علي بن عبد العزيز):الوساطة بين المتنبي وخصومه :١٢٢، والأصفهاني : الأغاني: ٣٦٠/١٩ .

١٦ عدي بن زيد: هو عدي بن زيد بن حماد من بني زيد مناة من تميم، شاعر جاهلي نصراني، قال ابن قتيبة:" كان يسكن الحيرة، ويدخل الأرياف فلان لسانه وسهل منطقه".

حجة"[١٧]؛ وقريب من هذا ما يورده ابن قتيبة نفسه عن أمية بن أبى الصلت[١٨] . بل يتوقفون عن الاحتجاج بكلام بعض القبائل لقربهم من العجم ، يقول أبو عمرو بن العلاء : "ما أقول قالت الأعراب إلا إذا سمعته من عجز هوازن وبنى كلاب وبنى هلال ، أو من عالية السافلة أو من سافلة العالية"[١٩] .

الأمر لم يقتصر – كما اتضح – على الاختلاط بالأعاجم، فالحاجة لتقعيد اللغة ووضع النحو بسبب اللحن أسبق من فترة اختلاط العرب بالأعاجم بعد الإسلام . ولكن هذا لا ينفى أن مما جعل انتشار اللحن أعظم من ذي قبل توسع الدولة الإسلامية جغرافياً واجتماعيا، وتوالي أجيال جديدة ممن بعدوا عن بواديهم ، وتركوا لهجاتهم الأولي واتبعوا اللسان القرشي.

وجاءت الروايات عن اللحن بعد الجاهليين من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأوائل ، منها :

١. حديث " أرشدوا صاحبكم فقد ضل" عند سماع الرسول (صلى الله عليه وسلم) لحن رجل بحضرته[٢٠].

٢. ما ورد عن أبى بكر رضي الله عنه وقوله : " لئن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن ".

---

١٧ ابن قتيبة: الشعر والشعراء: المقدمة.

١٨ أمية بن أبي الصلت: هو أمية بن عبد الله، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، كان يذكر الأخرة في شعره وينبذ الخمر وعبادة الأصنام، ولم يسلم إذ كان يرجو الرسالة له. توفي سنة ٥هـ.

١٩ السيوطي: الاقتراح: ٣٦٤.

٢٠ أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين: ٦.

٣. اللحن المسموع بجرّ (رسوله) في أول التوبة ، ونصب (الخاطئون) من :"لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ"٣٧ في الحاقة "[٢١].

٤. قصة ابنة أبي الأسود ، وقولها: " يا أبت ما أشدَّ الحرُّ - بالرفع- "مع أنها أرادت التعجب"[٢٢] .

٥. ورود روايات عن لحن أمراء وخلفاء[٢٣] ، بل عن علماء مثل الحسن البصري[٢٤] .

٦. أورد الجاحظ أن أول لحن سمع بالبادية "هذه عصاتي" وأول لحن سمع بالعراق "حيٍّ على الفلاح، بالكسر "[٢٥].

٧. أسند الزجاجيّ للأصمعيّ:"أربعة لم يلحنوا في جدٍّ ولا هزل:الشعبيُّ،وعبد الملك بن مروان،والحجاج بن يوسف ، وابن القرية"[٢٦] ، مما يدل على شيوعه في غيرهم.

فقد شاع اللحن عند اختلاط العرب بغيرهم في أطراف الدولة الإسلامية بعد الفتح الإسلامي للمدائن وتأسيس البصرة في حدود سنة ١٦ه ، ثم تأسيس الكوفة واتساعهما وانتقال الخليفة لها في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وقد عدَّ الباحثون اللحن أنواعاً ودرجات ، كما يلي:

٢١ ياقوت الحموي: مقدمة معجم الأدباء: ١/١ ـ ٩١.
٢٢ الأصفهاني: الأغاني: ٢٩٨/١٢. وروي أنها قالت "ما أحسنُ السماء".
٢٣ ياقوت الحموي: مقدمة معجم الأدباء: ١/١ ـ ٩١.
٢٤ الجاحظ : البيان والتبيين :٢١٩/٢ .
٢٥ الجاحظ: البيان والتبيين: ٢١٠/٢-٢٤٤.
٢٦ ابو القاسم الزجاجي:أمالي الزجاجي /دار الجيل /بيروت/ط٢ ١٩٨٧ ص٢٠.

أ. اللحن بالإعراب وعلاماته.

ب. اللحن بمباني الألفاظ وأوزانها.

ت. لحن النطق الناتج من عجز غير العرب عن نطق بعض الأحرف المعروف "باللكنة".

ث. لحن الاستعمال: باستعمال كلمة مكان أخرى[٢٧].

الحرص على القرآن الكريم:

سبب آخر كان لوضع أو نشر النحو هو الحرص على القرآن الكريم، وأن يظل كما نزل في نطقه وتلاوته، وارتبط ذلك بالتعليم ، إذ ذكر أبو الطيب اللغوي أن أبا الأسود وضعه ليعلم أبناء زياد[٢٨] .

العامل الاجتماعي:

هذا العامل ذكره ابن خلدون في المقدمة مع السببين السالفين ، حيث قال عن العرب :" فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم تغيرت تلك المَلَكَة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمعربين، والسمع أبو الملكات اللسانية ، ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها، لجنوحها إليه باعتبار السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك المَلَكَة رأساً ويطول العهد بها، فيستغلق القرآن والحديث عن المفهوم، فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك المَلَكَة، مطَّردة شبَه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر

---

[٢٧] طلال علامة : نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة: دار الفكر اللبناني/بيروت/ ط١ ١٩٩٢/ص٦٧.
[٢٨] أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين: ٨-٩.

أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه"[٢٩] ، فمع ربطه لكلامه باللحن إلا أنه أرجع ذلك لعامل اجتماعي هو الاختلاط بالأمم الأخرى بانتقال العرب لتلك المجتمعات.

آراء المعاصرين في أسباب وضع النحو:

كتب عدد من المعاصرين أسباباً مفصلة عن وضع النحو تدور كلها تقريباً حول أمر اللحن، وإن أدخل بعضهم دوائر أخرى غير دائرة اللغة ؛ فالطنطاوي في (نشأة النحو) لا يخرج عن رواية أبى الطيب اللغوي لقصص اللحن كثيراً ويعقب عليها بحديث ابن خلدون المتقدم ، ذاكراً سبباً اجتماعياً وآخر دينياً، وزاد عليهما قوله بعصبية العرب للغتهم سبباً ثالثاً[٣٠] .

أما شوقي ضيف فيفصّل أسباباً أربعة استنتج أنها كانت عند من وضعوه وهى أسباب دينية تتمثل في خشية اللحن على القرآن، وأسباب قومية في اعتزاز العرب بلغتهم ، وأسباب اجتماعية تمثلت في حاجة الأعاجم لمن يرسم لهم سبيل العربية ، والسبب الأخير عنده نمو العقل العربي وميله بعد تحضره إلى التقعيد ورسم الأقيسة"[٣١]. وقريب من هذا رأى ريمون طحان في كتابه الألسنية وكأنه نظر لشوقي ضيف"[٣٢] . أما عبد الهادي الفضلى فهو يقدم لكتابه (مراكز الدراسات النحوية) بحديث عن نشأة النحو ويرد الأمر لعاملين أحدهما اجتماعي شرحه بأنه "مقاومة

---

٢٩ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون: ص٥٤٦.

محمد الطنطاوي: نشأة النحو: ١٦-١٧. ٣٠

٣١ شوقي ضيف: المدارس النحوية: ٥-٨.

٣٢ ريمون طحان، دينيز بيطار طحان: فنون التقعيد وعلوم الألسنية/دار الكتاب اللبناني/ بيروت/د. ت.: ص٩.

مشكلة نشوء اللحن على ألسنة بعض أبناء المجتمع في الحاضرة والبادية، والعامل الآخر نقلهم من الطور البدائي المتسم بالجمود الفكري إلى الطور الحضاري الحافز على الانطلاق الفكري"[٣٣] .

ويرى فتحي عبد الفتاح الدجني أن أربعة عوامل أدت إلى نشأة النحو كما شوقي ضيف، لكنه يجعل العامل الأخير سياسياً بدلاً عن النمو العقلي الذي رآه ضيف ويختلف في شرح الثلاثة الأول بأن العامل الديني هو خدمة الدين، واستقبال غير العرب فيه ، وظهور اللحن ، أما الاجتماعي فيصفه بأنه توسع المكان بالمسلمين ، ومختلف الأجناس مع بعضها، مما ولد لحناً أما القومي فيطابق تعريف شوقي ضيف بأنه غيرة العرب على لغتهم [٣٤]. وتسمي خديجة الحديثي أسباب الوضع دوافع ، وهي ثلاثة في رأيها يتقدمها الدافع الديني وتعرفه بخشية المسلمين على كتابهم أن يصيبه اللحن ، والدافع الاجتماعي والدافع اللغوي القومي[٣٥].

(٢) أول من وضع النحو وأول ما وضع فيه

أبو الأسود الدؤلي مؤسس النحو:

قال الجاحظ تعريفاً بأبي الأسود:" اسمه ظالم بن عمرو بن عدى بن بكر بن عبد مناة بن خزاعة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار" فهو عربي خالص قرشيّ الأصل ورد البصرة من عهد

---

[٣٣] عبد الهادي الفضلي: مراكز الدراسات النحوية: ٥.

٣٤ فتحي عبد الفتاح الدجني: أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي / الكويت / وكالة المطبوعات /ط١ ١٩٨٤م: ص٧- ٨..

[٣٥] خديجة الحديثي : المدارس النحوية /إربد /دار الأمل/ط٣ ٢٠٠١م /ص٥١،٥٠.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن العلامات البارزة عنه تشيعه[٣٦] . وتكاد الروايات تنحصر حول حياته في كونه عاش أوائلها قبل الهجـرة، وأنه عمر أكثر من ثمانين عاماً. ومما يذكر عنه قول ابن جرير الطبري في تاريخه: " ولي أبو الأسود القضاء لعثمان بن حنيف عامل على بـن أبى طالب على البصرة أوائل سنة ٣٦ هـ "[٣٧] ، واستمر قاضياً لها في عهد عاملها الذي عينه علي بن أبى طالب بعد واقعة الجمل وهو عبد الله بن عباس. ومكث الإمام عليٌّ بالبصرة شهرين وخرج في وداع عائشـة يوم السبت غرة رجب سنة ٣٦هـ ، ثم ذهب إلى الكوفة وفـي هـذين الشهرين التقى بأبي الأسود بالخريبة يوم الخميس الثاني والعشرين مـن جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ . ويروي أكثر الرواة أن وفاة أبـي الأسـود كانت في الطاعون الجارف بالبصرة سنة٦٩هـ عن خمسـة وثمـانين عاماً.

ويروي الزجاجي قصة أول كلام في (النحو العلمي) في حوار بـين الإمام عليٍّ بن أبي طالب وأبي الأسود الدؤلي ، مسنداً الروايـة لأبـي الأسود ، الذي قال:" دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فرأيته مطرقا مفكرا، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال : إننـي سـمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربيـة. فقلـت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيتـه بعـد

---

[٣٦] انظر : ابن سلام الجمحي :طبقات فحول الشعراء ص٥، و السيرافي: طبقات النحويين البصريين:١١، ومحمد الطنطاوي: نشأة النحو: دار المعارف/مصر/ ط٢ ١٩٩٥: ص٦٨.

[٣٧] الطبري: التاريخ الكبير: ٥٤٣/٤.

ثلاث فألقى إليّ صحيفة فيها :" الكلام كله: اسم و فعل وحرف. والاسم ما أنبأ عن المسمى. والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم و لا فعل. ثم قال : تتبعه و زد فيه ما وقع لك. واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر. وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر."؛ قال أبو الأسود: "فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها إنّ، وأنّ، وليت ، ولعلّ ، وكأنّ ، و لم أذكر لكنّ ، فقال لي لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال : بل هي منها فزدها فيها." [38] ويسمي ابن النديم صاحب (الفهرست) أول ما كتب هذا بـ(تعليقة أبي الأسود) كما سيرد.

وبالكلمات نفسها – تقريبا – يصدّر الأنباري "نزهة الألباء"[39] ، ويكرّرها غيره من أصحاب الطبقات، نحو قول أبي الطيب اللغويّ:" كان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام"[40]، كذلك أيّد السيرافي المقالة في كتابه (أخبار النحويين البصريين):"قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ أبو الأسود عن على بن أبي طالب عليه السلام العربية". هذا على ما ورد في الكتب اللاحقة في نسبة الوضع لأبي

[38] أبو القاسم الزجاجي:أمالي الزجاجي /ص٢٣٨-٢٣٩.
[39] الأنبارى :نزهة الألباء: ص٥
[40] أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين: ص٨.

الأسود وما جاء في أقوال قدماء أمثال الزجاجي والمبرد[41] وغيرهم في تأكيدها، ونقل عنهم المحدثون من مؤرخي النحو ودارسيه.

وأيدت كتب الأدب ما أورده اللغويون والنحويون عن أولية أبي الأسود ، فأورد ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء: "إن أبا الأسود أول من عمل كتاباً في النحو بعد عليّ بن أبى طالب"، وما أورده أبو الفرج في كلمة في "أغانيه" يقول: " أمر زياد أبا الأسود الدؤليّ أن ينقط المصاحف فنقطها، ورسم من النحو رسوماً ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدي[42] فوجده صَلِيبةً فلحَّبَه ، ونَجَمَ عليٌّ بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوماً فهم الآن يعملون عليها" ، ولعلّ كلمة أبي الفرج هذه من أبين ما يجمل تاريخ النشأة الأولى، ويشير لأوائل النحاة بأسلوب بارع، خاصة حين يقول عن الخليل أنه وجده صليبة فلَحَّبه أي ذلّلَهُ.

وتتضافر الروايات على القول بنشأة النحو أول أمره على يدي علي بن أبي طالب أو أبي الأسود ، والخلاف في ذلك لا معنى له ، فأكثر من عشرين رواية في كتب الأوائل تؤكد نشأة النحو بينهما وإن أفرده

---

[41] المبرد: هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ ولزم أبا عمر الجرمي ثم المازني الذي لقبه بالمبرد لحسن تثبته وتأتيه في العلل، قدم بغداد وأدب أبناء الأمراء وناظر ثعلب إمام الكوفيين لعصره، توفي سنة ٢٨٥هـ مخلفا الكثير من المؤلفات أبرزها "الكامل " في الأدب و"المقتضب " في النحو، ويعد خاتمة البصريين.

[42] الخليل بن أحمد: هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي، ولد بالبصرة وشب على حب العلم، تلقى عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي فهو في الطبقة الخامسة من النحاة البصريين، شافه الأعراب زمنا بالبوادي ثم أب إلى العراق، بلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو، وهو واضع علم الموسيقى العربية، وعلم العروض والقافية وأول من صنع معجما في العربية هو معجم "العين". عاش زاهدا، رفض تدريس أبناء الأمراء، توفي سنة ١٧٥هـ.

الأنباري بعلي بن أبي طالب[٤٣] ووزعه ابن النديم على عدد من النحويين أول أمره ثم شكك في أوليتهم، وهو الذي أورد قصة تعليقة أبي الأسود، وقد شكك السيرافي كذلك في عدد ممن ذكر أوليتهم ، فلم يخرج أحدهم عليًّا بن أبي طالب أو أبا الأسود . فكأنَّ الترتيب الطبيعي ما ذكره الشيخ الطنطاوي وعبد الهادي الفضلي وغيرهم بأن هناك وضعاً أصلاً كان على يد عليٍّ بن أبي طالب لم يفصّله لمشاغله، وإنما فرّعه ووضعه في إطاره العلمي أبو الأسود على (النحو) الذي وجهه به الإمام علي كما يروي أبو الأسود نفسه، سواء بذكر صحيفة مكتوبة كما يرويها المبرد في "الفاضل" عن الزجاج، أو بأن أمره أن يضع للناس حروفاً كما يرويه أبو الطيب اللغوي، أو بوضع أبواب بعينها في أن والإضافة والإمالة ثم أضاف عليها أبو الأسود كما يرويها السيوطي في الاقتراح عن الفخر الرازي، أو غير ذلك من روايات لا تخرج من إطار التناصر في الوضع بينهما مناصرة الموجه المرشد إلى كليات الأمر (الإمام عليّ) إلى المفصّل لها، المفرّع للعلم(أبي الأسود الدؤلي) فلا خلاف حقيقي حول الواضع بين عليّ وأبي الأسود ، ويرتبط بهذا ما ذكر عن أولية من أخذوا عنه ، وأبرزهم نصر بن عاصم أو يحيى بن يعمر، فهما بعده وإن حفظت لهما إضافاتهما ، لا سيما نقط الإعراب .

[٤٣] الأنباري: نزهة الألباء: ٢١.

بقي ممن نسب إليهم الوضع عبد الرحمن بن هرمز المدني [٤٤]؛ وأشار إلى ذلك أبو الطيب اللغوي حين بوّب لنحاة المدينة في "مراتبه وأورد أنه (قيل) إن عبد الرحمن هذا هو أول منشئ للنحو وأورد ذلك بصيغة البناء للمجهول [٤٥]، وقد ترجم القفطي لعبد الرحمن بن هرمز في الإنباه بقوله:" قال أهل العلم : إنه أول من وضع علم العربية ، والسبب في هذا القول أنه أخذ من أبي الأسود الدؤلي ، وأظهر هذا العلم بالمدينة ؛ فيرجع القفطي الأصل مرة أخرى إلى أبي الأسود . وهنالك من قال بكون ابن عباس (ت٦٨هـ) هو الواضع، ولكن ابن عباس تصدّى لدرس العربية في مكة بعد عودته إليها في خلافة عبد الملك بن مروان فترة الخلاف بينه وبين عبد الله بن الزبير، وكانت عودته هذه من البصرة بعد أن عرف فيها النحو وبدايته [٤٦]، فأوليته إذن بالنسبة لمكة وليست لجملة النحاة ، على الرغم مما روى عن عظم حلقته ،وتدريسه العربية مع غيرها بالمسجد الحرام.

وخالفت دائرة المعارف الإسلامية أقوال المتقدمين فجاء فيها :" وليس حقاً ما يقال إنه-أبا الأسود-واضع أصول النحو العربي" [٤٧]،ومثل ذلك

---

٤٤ عبد الرحمن بن هرمز: هو أبو داؤود عبد الرحمن بن هرمز ، عرف بالأعرج، من موالي بني هاشم بالمدينة عالم بالأنساب، قارئ حافظ وافر العلم ثقة، أخذ عن أبي هريرة، ويروي ان مالكا أخذ عنه، وقد أخذ عن الدؤلي، ولكنه سجل معه في الطبقة الأولى وعلل الزبيدي ذلك بأنه مدني. توفي سنة ١١٧هـ.

٤٥ أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين: ترجمة عبد الرحمن بن هرمز.

٤٦ عبد الهادي الفضلي: مراكز الدراسات النحوية: ٣٩ ــ ٤٠.

٤٧ دائرة المعارف الإسلامية: المجلد (١)/العدد(٥١) /ترجمة أبي الأسود.

أورده بعدهم شوقي ضيف في كتابه إذ عدَّ الواضع عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي[٤٨] .

أول ما وضع من النحو :

روى ابن النديم في كتابه "الفهرست" قصة عن سماع لحن أحد الموالى ، جاء فيها على لسان أبى الأسود: "إن هؤلاء الموالى قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، فصاروا لنا أخوة، فلو عملنا لهم الكلام، فوضع باب الفاعل والمفعول"[٤٩] .

وفي فقرة تالية يورد ابن النديم قصة أول أوراق كتبت في النحو ، ينسَبُ فيها تعليقةٌ لأبي الأسود فيها كلام مسند بتوقيعات وأختام في الفاعل والمفعول كذلك ، وسبق ماذكر عن حروف النصب ، وأجزاء الكلام ، وأنواع الاسم. ثم جاء عمل أبي الأسود في ضبط المصحف بما عرف بنقط الإعراب، بأن اختار كاتباً قال له : "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه ، وإذا ضممت فمي فانقطه نقطة بين يدي الحرف ، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعت ذلك شيئاً من غنة فاجعل النقطة نقطتين"[٥٠]، والغنة يقصد بها التنوين الذي هو نون ساكنة.

---

[٤٨] شوقي ضيف : المدارس النحوية /دار المعارف/ مصر/ط ١٩٩٧/ص٢٩،٢٠.

[٤٩] ابن النديم: هو أبو الفتح أبو الفرج صاحب كتاب "الفهرست"، المتوفى بعد سنة ٣٩٢هـ لأنه ذكر تاريخ وفاة ابن جني في هذه السنة. يقول ياقوت إنه كان وراقا، وإن اسمه محمد بن إسحاق النديم وكنيته أبو الفرج وكنية أبيه أبى يعقوب وكتابه الفهرست جامع لما ألف في العربية أو نقل إليها في جميع العلوم حتى نهاية القرن الرابع الهجري.

[٥٠] أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين : ص١١،١٠.

ودور أبي الأسود لم يقتصر على هذين العملين الجليلين اللذين تقدما : نقط الإعراب ، وابتدار عدة أبواب نحوية ، فقد سبقهما جهده في تقويم اللحون ، وأضاف عملاً مهماً وهو تواصل هذا العلم بتوريثه تلاميـذه ، فبرزوا ممثلين الطبقة الثانية كما صنفها الزبيديّ.

(٣) تلاميذ أبي الأسود ومن تلاهم

طبقة تلاميذ أبي الأسود:

لأبي الأسود فضل الريادة، وفضل التصويب لما كان يسمع من أخطاء فهو قد كان معلماً في الأصل يعلم القرآن واللغة ، ويؤدب أبناء زياد كما روى عنه أصحاب الطبقات. وسبيل تقويم خطأ (الإعراب) سلكه تلاميذ أبي الأسود كما سلكه ، وتلاميذ أبي الأسود الأوائل هم الذين صنفهم الزبيدي[٥١] في الطبقة الثانية، وذكرهم ابن النديم في الفهرست بقوله : "أخذ عن أبي الأسود جماعة منهم **يحيى بن يعمر** و **عنبسة بن معدان وهو عنبسة الفيل**، و **ميمون الأقرن** "و قال بعض العلماء: إن **نصر بن عاصم** أخذ عن أبي الأسود[٥٢] وهؤلاء الثلاثة ، وقد اشتهر نصر بن عاصم و يحيى بن يعمر بوضع **نقط الإعجام**، بعد ما وضع أبو الأسود نقط الإعراب.

ومن عملهم في تقويم اللحون ما ورد عن نفي الحجاج ليحي بن يعمر إلى خراسان بسبب كشفه للحنه في الإعراب! و ذلك في القصـة التـي

---

[٥١] الزبيدى :هو أبو بكر محمد بن الحسن،أصله من زبيد "قبيلة يمنية " أشهر مؤلفاته طبقات النحويين واللغويين توفى سنة ٣٧٩هـ.

٥٢ الفهرست : ص٦٣.

توردها كتب الطبقات أن الحجاج سأله: أتسمعني ألحن؟ قال : في حرف واحد، قال : في أيّ؟ قال في القرآن قال : ذلك أشنع ، ثم قال له : ما هو؟ قال : تقول : "قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم وأموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها **أحبُّ** إليكم من الله ورسوله"[٥٣]فتقرأ (أحبُّ) بالرفع، قال الحجاج: لا جرم أنك لا تسمع لي لحنا بعد هذا ثم ألحقه بخراسان" [٥٤] ؛ هذا على الرغم من أن الحجاج هو الذي أمره و نصرا بوضع نقط الإعجام لرفع التصحيف عن المصحف [٥٥]. و من سيرهم على هدى أبي الأسود في تقويم خطأ اللغة والإعراب والقراءة ما يروى عن نصر بن عاصم أنه سئل عن قراءة سورة الإخلاص و قرأ : "قل هو الله أحد ، الله الصمد" ، دون أن ينون ، فأخبر أن عروة [٥٦] ينوّن فقال : بئس ما قال وهو للبئس أهل".

ابن أبي إسحاق والفرزدق:

بدأ من الطبقة الثانية (تلاميذ الدؤلي) كما في الرواية السابقة الوقوف بما غلب فيه الاستقراء على المحفوظ ، بأن يقف بصري مخطئاً مدنيا سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم بل إنه ابن أحدهم ، و زاد هذا الاتجاه عند الطبقة الثالثة التي يمثلها **عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي** الذي وصف بأنه: أول من "بعج النحو: و مد القياس و شرح العلل" و قد وقف مخطئا الفرزدق في قوله:

[٥٣] سورة التوبة الآية (٢٤).
٥٤ الطنطاوي: نشأة النحو ص ٧٢
٥٥ عبد العال سالم مكرم: القرآن الكريم وأثره في النحو العربي ص٣٦
٥٦ عروة بن الزبير بن العوام: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، شقيق عبد الله الزبير.

وعضُّ زمانٍ يا بنَ مروانَ لم يدعْ من المالِ إلا مسحتاً أو مجلَّفُ

فقال له: بم رفعت أو مجلَّف؟! فقال له : بما يسوؤك و ينوؤك. علينا أن نقول و عليكم أن تتأوّلوا . ووقف معيبا قوله :

مستقبلين شَمالَ الشَّامِ تضرِبُنا   بحاصبٍ كنديفِ القطنِ منثورِ

على عمائِمِنا يلقَى وأرحـلِنا   على زواحفَ نزجي مخها ريرُ

فقال : إنما هو رير بالرفع. وإن رفع أقوى[٥٧]. فوجد عليه الفرزدق وقال : أما وجد هذا المنتفخ الخصيتين لبيتي مخرجاً في العربية أما إنـــي لـــو أشاء لقلت :

على عمائِمِنا يلقَى وأرحلنا   على زواحفَ نزجيها محاسيرِ

و لكني والله لا أقوله ، ثم هجاه بقوله :

ولو كانَ عبدُالله مولًى هجوتُه   و لكنَّ عبدَالله مولى مواليا

فقال عبدالله : عذره شر من ذنبه ، فقد أخطأ أيضاً ، والصواب "مـــولي موالٍ"[٥٨]. ولعله من أجل مثل هذه الوقفات قيل عن ابن أبي إسحاق إنـــه أول من بعج النحو ، وشرح العلل. وحين قال شوقي ضيف في المدارس النحوية بأن أوائل النحاة يتقدمهم ابن أبي إسحاق الحضرمي[٥٩] وذكر معه عيسى بن عمر وأبا عمرو بن العلاء يرجع لهذه التعليلات والوقفات لابن ابي إسحاق ، حيث لا يقف في تخطئته ما يسمع عند حدّ، بل سعى لتقييد نطق الناس وفق منهج النحاة، بأن توضع القواعد المستقاة من اســـتقراء

---

[٥٧] الإقواء اختلاف حركة الرويّ في القصيدة الواحدة ، وحرف الرويّ هو اخر متحرك في قافية البيت.

٥٨ الطنطاوي:نشأة النحو :ص٧٣- ٧٤

٥٩ شوقي ضيف: المدارس النحوية/ط١٩٩٧ م :٢٠-٢٩ .

كلام العرب، و تعمم للقياس عليها باعتبارها أصلا واجب الاتباع حتى في قراءة القرآن ، إذ خالف الجمهور بقراءته آية المائدة "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" [٦٠] بنصب السارق على المفعولية حتى لا يأتي الخبر طلبياً مفصولاً عن المبتدأ بالفاء.

أبوعمرو بن العلاء وعيسى بن عمر :

يُعدُّ **أبو عمرو بن العلاء** -شيخ قراء البصرة- **وعيسي بن عمر** وشيخهما ابن أبي إسحاق أول من اتجهوا بالنحو اتجاهاً أكثر تخصصاً وتفصيلاً علي تفاوت أدوارهم، وطريقة كلٍّ؛ فأبو عمرو بن العلاء رجل رواية وإن اشتهر بالقياس إلا أنه كان دون عيسى بن عمر في قياس النحو ، وإنما كان صاحب لغة كما وصف، وقد كان أستاذهما عبد الله ابن أبي إسحاق نفسه صاحب قياس في اللغة - كما في النحو - وأمر قصته التي يوردها ابن سلام في طبقاته مشهور إذ سئل ابن أبي اسحق يوماً:" هل يقول أحد الصَوِيق؟ – يعني السَوِيق" قال : نعم ، عمرو بن تميم تقولها، ثم قال لسائله: و ما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطَّرد و ينقاس"[٦١]، إلا أن أبا عمرو يوصف بأنه "أوسع علما بكلام العرب ولغاتها و غريبها" [٦٢]، أما عيسى بن عمر [٦٣]فقد كان أكثر من أستاذه ابن

٦٠ سورة المائدة الاية ٣٨ (وما زلنا نمنع الإخبار بالطلب).

[٦١] ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء: ٥/١

٦٢ الانبارى : نزهة الألباء: ص٢٢

[٦٣]عيسى بن عمر هو أبو سليمان عيسى بن عمر مولي لآل خالد بن الوليد ،كان ضريراً، و هواهم تلاميذ ابن أبي إسحاق، لذلك سجله الزبيدى فى الطبقة الرابعة، وهو من القراء كذلك،ذكر أصحاب الطبقات أن له سبعين مؤلفا احترق أكثرها ، وقد توسع فى القياس والطعن علي العرب لمخالفتهم له، وقد ناظره الكسائي ، توفي سنة١٤٩هـ

أبي إسحاق قياسا على المطَّرد من الظواهر ولا يبالي أن يخطِّئَ الجاهليين ، فيعلِّق على النابغة مثلاً في قوله:

فبت كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع

بأن "وجه الصواب أن يقول : السم ناقعاً "[٦٤] بجعلها حالاً مفردة ومنع وقوعها وصفاً للسم وقد خالفته تعريفاً و تنكيراً ، مع إمكان تخريجها على أن الحال جملة اسمية المبتدأ فيها مقدر بضمير.

وذكر أصحاب الطبقات أن لعيسى بن عمر هذا سبعين كتاباً في النحو ، وقد أورد الخليل اسم كتابين منها في بيتيه اللذين يحفظهما شداة النحو قال:

بطَلَ النَّحوُ جميعاً كلُّه غيرَ ما أحدثَ عيسى بنُ عمرْ

ذاكَ إكمالٌ و هذا جامعٌ   فهما للناسِ شمسٌ و قمرْ [٦٥]

وقال عنهما ابن النديم: "و قد فقد الناس هذين الكتابين من المدة الطويلة و لم تقع إلى أحد علمناه ولا أخبر أحد أنه رآهما"[٦٦] ولكن في هذا شهادة بأن علم عيسى بن عمر في النحو بلغ به هذا الحد الواسع في التأليف النحوي مما جعله صاحب مقام عليٍّ في تأسيس أصول القياس النحوي ، و نفى الشاذ عن اللغة حتى لو كان هذا في اعتباره هو، و بحسب ما اطَّرد عنده من استقراء لغة الأعراب ، وقد أوقعه هذا في اختلاف مع إمام الكوفة الكسائي حين أورد الأخير صوراً عديدة للمسألة فقال له:"إنما

---

٦٤ الأنبارى:نزهة الألباء ص٢٢
٦٥ الزبيدى :طبقات ص٣٥-٣٧
٦٦ ابن النديم :الفهرست٦٤

أريد كلام العرب، وليس هذا الذي تأتي به كلام العرب"[٦٧] ، واختلف أبو عمرو وعيسى بن عمر في عدة مسائل أشهرها نصب عيسى للمسك ورفع أبي عمرو لها في جملة **(ليس الطيب إلا المسك)**[٦٨]. فمنهج أبي عمرو مع القياس ولكن على كل لهجات العرب متى غلبت عنده سماعيتها مستقرئا عليها **غير منكر لما يخرج عن قياسه إن صح سماعه**، لذا حين سئل : "أخبرني عما وضعت مما سميته عربية : أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال : لا. فقلت : كيف تصنع فيما خالفت فيه العرب وهم حجة؟ قال : **أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات** [٦٩].

تتلمذ لأبي عمرو وعيسى من طفروا بالدرس النحويّ خطوات بعيدة ، فجمعوا المسائل وتوسعوا في تعليمها . ومن هؤلاء يونس بن حبيب الذي يقول عن ابن أبي إسحاق:" لو كان في الناس أحد لا يعلم إلا علمه لضُحِك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه ونظره كان أعلم الناس"[٧٠]. أما علَم هذه الطبقة الأبرز فهو الخليل بن أحمد الفرهودي ، وقبل أن نتحدث عن عمله نسمع وصف مهدي المخزومي لمكانته العلمية ، يقول : "فالدرس النحوي عند الخليل هو الذي عرفته العصور المتعاقبة، فلو تتبعنا النحاة سلفا عن سلف لرأيناهم يصدرون عن مورد واحد هو "الكتاب". و"الكتاب"هو كتاب الخليل في جملته وتفصيله وعنه

٦٧ ابو علي القالي:الأمالي٣٩/٣
٦٨ انظر الملاحق.
٦٩ الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ٣٩.
٧٠ القفطي : الإنباه :٢ /٢٠٤.

أخذ أعلام الدرس وأئمة النحاة. وعن مجلس الخليل نشأ المذهبان النحويان الكبيران مذهب البصريين ومذهب الكوفيين، فقد تخرج على أيدي الخليل إمام أهل البصرة و إمام أهل الكوفة، وإذا اختلف المذهبان في المسائل والفروع فقد اتفقا في الخطوط العريضة التي يتألف منها نحو الخليل" [٧١]. وقد ربط المخزومي عمل الخليل بعمل تلميذه سيبويه[٧٢] في الطبقة السادسة، فعمل الخليل أثبته سيبويه مع عمل السابقين في "الكتاب"، فنسميه تكامل النحو لأن النحو بعملهما قام على عمد راسخة.

(٤) الخليل وسيبويه وتكامل بناء النحو

أبرز أعمال الخليل وسيبويه:

تحدث العلماء عن الارتباط الوثيق بين الخليل وتلميذه سيبويه ، فإننا ندرس الخليل النحوي مما يورده (كتاب) سيبويه ، وفيه كذلك ندرس ما أضافه سيبويه للدرس النحوي . والخليل يفرض على المتلقين للنحو تقديمه ، والإعجاب به ، ويمكن حصر ما أضافه الخليل فيما يلي:

١. إكماله للأبواب النحوية ووضع مصطلحاتها.
٢. إيجاده نظرية العامل.
٣. استنباطه العلل بما لم يسبق إليه.
٤. ابتداعه حروف الميزان الصرفيّ .
٥. ابتداعه شكل الحركات ونقلها من النقاط لبعض ألف وواو وياء.

---

[٧١] مهدى المخزومي عبقري من البصرة ص٣٩.

٧٢ هو عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي الأصل المكنى أبو بشر مولى بني الحارث بن كعب ، وسيبويه اسم فارسي معناه رائحة التفاح كانت أمه ترقصه به. أخذ عن الخليل ويونس بن حبيب وأخذ عنه الأخفش الأوسط وهو صاحب كتاب (الكتاب) أول كتاب في النحو العربي . توفي بفارس سنة١٨٢هـ على الأشهر عن ستة وثلاثين عاما ، وأخباره مشهورة.

٦. فتح باب الاحتمالات في الإعراب، والتمرينات النحوية.

وعمل سيبويه في مجمله متمّمٌ لعمل الخليل ، إلا أنه ظهر بشكل أوضح وعرف به سيبويه ، لأنه جمع العلم وأبدع ترتيبه وتأليفه في (الكتاب) الذي امتاز بـــ:

١. كونه أول أثر محيط بالمادة وصلنا .
٢. استكماله وضع المصطلحات النحوية مستوعباً ما مرَّ قبله فاستوى البناء النحوي معه كاملاً ، أو قريباً من الكمال.
٣. نقله النحو من تطبيقات وقواعد وتعليلات متفرقة إلى تهيئة بناء نحوي جامع ومحيط ، غذّاه بالشواهد القرآنية والشعرية.
٤. استكمال نظرية التعليل التي بدأت مع الخليل في النحو والصرف.
٥. استكمال نظرية العامل ، والتعليلات التي أغناها الخليل.
٦. دعم القياس وتعميمه ، ومن عمله في القياس سجل ما خالف قواعده التي بناها على الشائع المنتشر على ألسنة العرب بعد أن اعتبر ذلك المخالف شذوذاً واضطراراً .
٧. ربط النحو بالمعنى والعلوم اللغوية من لغة وأصوات وأدب ومعانٍ وغيرها .
٨. استكماله وضع الاحتمالات النحوية ، الأمر الذي حدا به إلى التوسع في وضع التمارين في النحو[٧٣] .

---

[٧٣] انظر طلال علامة : تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة / ص١٥٢.

(الكتاب) ومكانته :

قال د. شوقي ضيف يصف الكتاب وينوّه بمكانته:"من المؤكد أن سيبويه بدأ عمل كتابه بعد وفاة الخليل ، إذ نراه في بعض المواضع يعقب على ذكره لاسمه بكلمة "رحمه الله".وقد حمله عنه تلميذه الأخفش الأوسط" وسُمّيَ الكتاب وكأنه الكتاب الوحيد لعظم قدره ، وقد قال المازنيّ:"من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه فليستحي" ونقل أبو الطيب اللغويّ وصف الناس له بقرآن النحو[٧٤].

مصطلحات الكتاب :

أول ما يقابل القارئ "للكتاب" من كلام سيبويه عنوان باب يقول : هذا باب علم ما الكلم من العربية "[٧٥] ، مما غيرناه اليوم لنعبر عنه بكلمتين (أقسام الكلام) أو (أجزاء الكلام) ، فيظن قارئ اليوم بسيبويه أنه متخلف في وضع المصطلح ، ثم يتأدب ويستدرك احترامه بأنه أول من دوّن المصطلح النحوي . ولكن هل كان هذا شأنه في كل مصطلحاته؟ ليس الأمر كذلك بل نجد في مصطلح سيبويه مناحٍ أربعاً: أكثرها مصطلحات ما زلنا نتداولها حتى اليوم دون تغيير بنفس مدلولاتها عنده تقريباً ، ومنحى آخر فيه مصطلحات بقيت مدلولاتها مع تغيير مسماها ، ومنحى ثالث مصطلحات عبر عنها بأمثلة لها دون تسمية ، والأخير ما تعقّد تعبير "الكتاب" فيه . ولعل من أسباب ذلك كثرة ما

---

٧٤ انظر في التعريف بالكتاب شوقي ضيف : المدارس النحوية:ص٥٩-٦٣.

٧٥ سيبويه : الكتاب : ٤١/١ .

فرّعه سيبويه من أبواب بلغت اثنين وخمسين وخمسمائة باب [76] ، ذلك بسبب أوليته في تصنيف أبواب النحو ، وتكرار بعضها أحياناً، ووجود أبواب عديدة من علوم أخرى. ومن أمثلة المصطلحات وفق الأنواع المذكورة :

أ. المصطلحات التي نتداولها حتى اليوم مما ورد في (الكتاب) قائمتها طويلة نشير منها إلى المسند والمسند إليه والمبتدأ والنعت والتوكيد والبدل والمبدل منه ، والمفعول به والمفعول معه ، والفاعل والإضافة والتقديم والتأخير والنداء [77] وغيره كثير .

ب. أما ما بقي مدلوله وتغير مصطلحه فمنه المشتقات نحو " ما عالجت به " لاسم الآلة [78] و " مواضع بنات الثلاثة التي ليست فيها زيادة من لفظها " لاسم المكان ، ومنه الاشتغال قال فيه :" ما يكون الفعل فيه مبنياً على الاسم " [79] والشركة للعطف [80] ، و " ما بني على المبتدأ " للخبر [81] ، والتحقير للتصغير [82] ، ومجاري أواخر الكلم للإعراب والبناء [83].

ت. أما ما عبر عنه بأمثلة ولم يذكر له مصطلحاً فمنه اسم المرة قال :"هذا باب نظائر ضربته ضربة ورميته رمية " ومن منهجه في

٧٦انظر أبواب الكتاب (بتحقيق عبدالسلام هارون وفيه فهارس كاملة بالجزء الخامس) .
٧٧ وهذه كلها متفرقة في الجزء الأول من" الكتاب" .
٧٨ سيبويه : الكتاب : ٤١/١.
٧٩ سيبويه : الكتاب : ٢٨٧/١..
٨٠ سيبويه : الكتاب : ١٠٩/٢.
٨١ سيبويه : الكتاب : ٢٧٩/١.
٨٢ سيبويه : الكتاب : ٢٤٦/٢.
٨٣ سيبويه : الكتاب : ٣/١.

الكتاب أن يذكر المثال وهو يبين القاعدة ، وذلك مع عنوان البـاب ، وعندما يأتي للبيان يأتي بالشواهد وهذا مما جعل شواهده بهذه الكثافة وهي أربعمائة وستون آية[٨٤] ، وحديثان وألف وخمسون بيتاً من الشعر .

ث. والتعقيد في تسمية بعض الأبواب نجده ظاهراً في التنازع مثلاً : " باب الفاعلين والمفعولين الذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعله به "[٨٥] والفعل المتعدي بقوله : " باب الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول به ، والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ، ولا تعدى فعله إلى مفعول آخر"[٨٦] والحروف غير العاملة قال فيها : " هذا باب الحروف التي لا يليها إلا الفعل ، ولا تغير الفعل عن حاله التي كان عليها قبل أن يكون قبله شئ منها "[٨٧] .

ومع كل هذا فالكتاب إمام المصطلح النحوي بحكم التاريخ ، والواقع النحوي كذلك .

الإعراب والتطبيق والتمرينات الافتراضية :

أورد أبو الطيب اللغوي في المراتب :"وأعلم أن أول ما اختل في كلام العرب، فأحوج إلى تعليمِ الإعرابُ، لأن اللّحن قد ظهر في كلام الموالي أو المتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم "[٨٨]. ونحوٌ من

---

٨٤ انظر محمد إبراهيم عبادة :الشواهد القرانية في كتاب سيبويه /مكتبة الاداب /القاهرة /٢٠٠٢م.
٨٥ سيبويه : الكتاب : ٣٧/١.
٨٦ سيبويه : الكتاب : ١٤/١.
٨٧ سيبويه : الكتاب : ١٥٨/١.
٨٨ أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين: ٥.

هذا ما ذكره عدد من أصحاب الطبقات ، وهم يحدثون عن نشأة النحو . فالإعراب عامة ظهر من قديم بمعنى تغيير حركة الحرف الأخير من الكلمة ، وما ذكر عن الأولين في الأخطاء في آية التوبة[٨٩] ، وكلام ابنة أبي الأسود ولحنها في التعجب، وغير ذلك يبين معرفتهم بالإعراب ، دون أن يقعدوه، وهو ليس أمراً جديداً أبدعه الخليل وسيبويه، لكن الجديد أن الإعراب الذي كان يشار له بالنقاط فوق الحرف وتحته وبين يديه، قد تحولت نقاطه إلى حركات أبدعها الخليل، ولم نحد عنها كثيراً إلى يومنا هذا .

والجديد كذلك التقعيد الذي وضعه ، إذ إن مما يصدَّر به (الكتاب) تعريف الإعراب ، وهو ما وصفه عبد الهادي الفضلي بأنه أقدم ما وقفنا عليه مما يوضح حقيقة الإعراب[٩٠]، وذلك بقوله في "الكتاب": " فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربعة الهمزة والتاء والياء والنون " [٩١] فهو يعرف الإعراب من خلال الأثر في آخر الكلمة ، فتعريفه يكاد يكون جامعاً مانعاً. ولا شك أن تعريف الإعراب قد مرّ بمراحل متعددة بعد ذلك ، لكنه ظل معتمداً الأساس الذي قعّده سيبويه وأستاذه الخليل . وما أضيف من ربط العامل بالإعراب كان مما أرساه "الكتاب " في نظرية العامل وكأنه أراد في

---

٨٩ " إن الله برئ من المشركين ورسوله"

٩٠ عبد الهادي الفضلي : دراسات في الإعراب: ١١.

٩١ سيبويه: الكتاب: (تحقيق عبد السلام هارون) ١٤/١.

التعريف أن يحدد الإعراب من العامل، وإن عرّفه بتجريد نسبي متقدم على كثير من تعريفاته المبنية على التمثيل والشواهد لا على تجريد القواعد.

ويتعلق بتعريف الإعراب وضع الخليل وسيبويه لافتراضات في الإعراب والاحتمالات المختلفة لبعض أحوال الإعراب ، على الرغم من عدم تعمقها في أساليب الفلاسفة ومغالطاتهم التي وقع فيها من عداهما ممن تلا القرن الثاني الهجري، ولعل هؤلاء من عناهم علي أبو المكارم[٩٢] بقوله : " إن الأصول النحوية قد استمدت مقوماتها من عناصر إسلامية خالصة طوال فترة تاريخية طويلة ، قبل أن تتأثر هذه الأصول بمؤثرات أخرى غير إسلامية ، في أخريات القرن الثالث وأوائل القرن الرابع "[٩٣].

وهناك تمارين يوردها سيبويه في حواراته مع أستاذه الخليل مما يوضع وضعاً ، يستل لنا شوقي ضيف بعضاً منها حين يقول : "وفي رأينا أن الخليل وسيبويه هما اللذان فتحا باب التمارين غير العملية على مصارعه حيث ترى سيبويه يتوقف في كتابه مراراً ليسأل أستاذه عن تطبيق قاعدة في مثال لم يأت عن العرب فمن ذلك ما ذكره سيبويه من أنه سأل الخليل عن رجل سمي أولو من قوله عزّ وجلّ : " نحن أولو قوة

---

[٩٢] د. علي أبو المكارم : نحوي مصري معاصر،له دراسات في الفكر النحوي وتجديد النحو، من أبرزها ":تقويم الفكر النحوي".

[٩٣] علي أبو المكارم : تقويم الفكر النحوي: المقدمة م .

وأولو باس شديد "[٩٤] أو سمي (ذوو) من قولهم " ذوو عزة " ، وكيف يجري إعرابهما حسب مواقع الكلام ؟ فقال: أقول: هذا ذوون ، وهذا أولون لأني لم أضف (أي لم أتبعهما المضاف إليه) وإنما ذهبت النون في الإضافة . ومعروف أن كلمة قاض تنون مصروفة هي وما على مثالها ،ويقول سيبويه وسألته عن رجل يسمى (يرمي أو ارمي) فقال:أنونه لأنه إذا صار اسماً فهو بمنزلة قاضٍ إذا كان اسم امرأة وسار سيبويه على هدي أستاذه حين يقول مثلاً : وإن سميت رجلاً ضربوا فيمن قال: " أكلوني البراغيث "، قلت :" هذا ضربوني قد أقبل " تلحقها النون كما تلحقها في أولي لو سميت بها رجلاً من قوله عزّ وجلّ : "أولي أجنحة "[٩٥] "[٩٦] .

نظرية العامل :

يرتبط بالإعراب الحديث عن العوامل، وقد أسس الخليل وسيبويه البحث المفصل في العوامل والمعمولات ، إذ كان الخليل رائداً في صوغ عوامل النحو وتدريسها في حلقات المسجد الجامع بالبصرة كما يروي أصحاب الطبقات فيما عرف في التاريخ النحوي بـــ (نظرية العامل) وقد أورد عنه سيبويه ذكر (العامل) في مواضع متعددة في كتابه ، مقروناً بموضعه من حيث تقديمه على المعمولات أو تأخيره ، ومن حيث ذكره وحذفه ومن تعدد العوامل على المعمول أو تعدد المعمولات للعامل ،

---

[٩٤] سورة النمل : الآية ٣٣ .

[٩٥] سورة فاطر : الآية ١ .

[٩٦] شوقي ضيف : المدارس النحوية: ٩١.

وكون العامل يكون معمولاً ، والمعمول يصبح عاملاً في غيره ، وهذا كله نجده منثوراً في (الكتاب) خلال الحديث عن الأبواب المختلفة فلم يفرد ببحث بعينه منفصلاً، ولكنه ظل مستوعباً لكل المسائل التي يوردها (الكتاب) ولا يكاد يخلو من ذكره باب فيه .

ومن المواضع التي ورد فيها ذكر العامل قول سيبويه: "ومثله : "قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم "[٩٧] إنما هو كفى الله، ولكنك لما أدخلت الباء **عملت** والموضع موضع نصب ، والمعنى معنى النصب ، وهذا قول الخليل رحمه الله "[٩٨] وقوله في إن وأخواتها: "وزعم الخليل أنها **عملت عملين** : الرفع والنصب ، كما **عملت** كان الرفع والنصب "[٩٩] ونظرية العامل تقوم باختصار على أن هناك ترابطاً بين الكلمات في الجملة ، ينتج أثراً ظاهراً أو مقدراً هو الإعراب ، وفاعل هذا الأثر هو **العامل** ، وما يظهر عليه هذا الأثر هو **المعمول** .

ومظهر الأثر القوي لهذه النظرية في كتاب سيبويه يبرز جلياً من تسمية أبوابه على أساس الأدوات وعملها كثيراً ، مثل: "هذا باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها " [١٠٠] و :"وهذا باب وجه دخول الرفع في هذه الأفعال المضارعة للأسماء"[١٠١] في أخذ الأولي مثالاً لعامل لفظي والثانية مثالاً لعامل معنوي . ويزيد بعض الباحثين أبواب الكتاب ليست متناثرة

[٩٧] سورة النساء : الآية : ٧٩.
[٩٨] سيبويه : الكتاب : ٤٨/١.
[٩٩] سيبويه : الكتاب: ٢٨٠/١.
[١٠٠] سيبويه : الكتاب :٤٨/١ .
[١٠١] سيبويه : الكتاب :٤٠٩/١.

كما يراها الناظر ، بل هي مرتبة على أساس نظرية العامل ، تبدأ بمقدمات عرّف فيها بأنواع الكلمة ثم حالات الإعراب وعلاماته ، والمسند والمسند إليه وما يكونانه من جمل فعلية واسمية ، فتكلم عن الأفعال في : لزومها وتعديها ، وبنائها للفاعل وللمفعول ، وفي تنازعها واشتغالها ، وفي إلغائها وفي تمامها ونقصها وفي حذفها وذكرها ، وتكلم في إعمال المصدر والمشتقات وأسماء الأفعال إلى آخر أبوابه [١٠٢].

ويرى كثير من النحاة المتأخرين في نظرية العامل أثراً لسيطرة الجدل الفلسفي ، والتفكير المنطقي لا سيَّما في علم الكلام ، والذي لم يكن الخليل بعيداً عنه ، ففي سيرته أنه "كادت الإباضية تغلب على الخليل" وروى الأصمعي مجالسته إياس بن معاوية في القياس" [١٠٣] ، فهو متأثر ببيئة علم الكلام القوية هذه، ولكن هل كانت هذه البيئة نفسها ذات تفكير مقطوع بأجنبيته؟ ، يقول عبد الهادي الفضلي :" ونلمس تأثر سيبويه بالفكر البصري العقلي الذي عايشه آنذاك وتفاعل معه ، ليس فيما أبدعه من تصميم علمي في عرض نظرية العامل فقط ، بل في مواضع أخرى من كتابه، منها على سبيل المثال ما جاء في الكتاب تحت عنوان "هذا ما ينتصب لأنه قبيح أن يكون صفة " [١٠٤] من قوله :" وذلك قولك :(هذا راقودٌ خلاً) و (عليه نحيٌ سمناً) وإن شئت قلت (راقودُ خلٍّ) وإنما فررت إلى النصب في هذا الباب ، كما فررت إلى الرفع في قولك

---

[١٠٢] محمد المختار ولد اباه:تاريخ النحو العربي/دار الكتب العلمية بيروت/طب ٢٠٠٨م ص٨٤ .

[١٠٣] الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين /ص٤٨ – ٤٩.

[١٠٤] سيبويه : الكتاب :٢٧٤/١.

(بصحيفةِ طينٌ خاتَمُها) لأن الطين اسم ، وليس مما يوصف به ، ولكنه جوهر يضاف إليه ما كان منه، فهكذا مجرى هذا وما أشبهه"[105] وموضع استشهاد الفضلي إيراد كلمة الجوهر ، ومادة وجسم ، وكلها مصطلحات فلسفية . ونفس هذا الرأي تقريباً هو رأي شوقي ضيف ، مع توسع في القول بالأثر الأجنبي حيث يربط الخليل بابن المقفع في ثقافته واصفاً له بقوله:" .. وكان الخليل صديقاً لابن المقفع ، فقرأ كل ما تركه وخاصة منطق أرسطوطاليس[106]"[107] وقال عنه كذلك: " ويظهر أنه عرف المباحث الصوتية عند الهنود وكانت نمت عندهم نمواً واسعاً " ، سبقه بهذا الرأي جرجي زيدان ثم إبراهيم أنيس بعدهم ومثلهم رأي أحمد أمين الذي يرى كل جهد النحو _ تقريباً _ أجنبياً ولكنه يقول : " إن تأثير اليونان والسريان في العصر الأول في النحو ضئيل "[108] . وخلص د.محمد عيد إلى وجود تأثر بهذه الثقافات اليونانية خاصة والسريانية ، عدا الأثر الهندي والفارسي ، ولكنها قد انصهرت في البيئة العربية والعقلية العربية التي لها أيضاً تفكيرها وأسسها العقلية ، فأخرجت لنا هذه النواتج من جدل في العلل والعوامل والقياس وغيرها [109]. وقد بُنيَ على هذه النظرية أكثر الجدل في الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ولم

[105] عبد الهادي الفضلي : دراسات في الإعراب : ٣١.
[106] أرسطو : فيلسوف اليونان المشهور وواضع علم المنطق ، ولد بأثينا سنة ٣٨٤ق.م. ، وكان أبوه طبيبا لملك مقدونيا . وأدب أرسطو الإسكندر الأكبر . ألف أرسطو في الأخلاق والسياسة والفن والبلاغة وغيرها، وتعرف فلسفته بالعلمية والواقعية.
[107] شوقي ضيف: المدارس النحوية : ٣٠-٣٢. (وسبقه ابن خلكان قديما بهذا القول).
[108] أحمد أمين: ضحى الإسلام: ٢/٢٩٤.
[109] د. محمد عيد : أصول النحو العربي: ١٣-١٤.

يخرج عن هذه النظرية رأي ذو بال إلا رأي محمد بن المستنير المشهور بقطرب[١١٠] بعد أكثر من ربع قرن من وفاة سيبويه وبعده لم يظهر شيء يشار إليه حتى عهد متقدم.

ويبيّن رأي قطرب الذي خرج به على أساتذته ما نقله الزجاجي في "الإيضاح" بقوله : " لم يعرب الكلام في الدلالة على المعاني والفرق بين بعضها وبعض ، لاننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة في المعاني ، وأسماء مختلفة الإعراب ومتفقة في المعاني " (ويورد عدة أمثلة) ثم يقول:" فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني لوجب أن يكون لكل معنىً إعراب يدل عليه لا يزول إلا بزواله . وإنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل ، وكانوا يبطئون عند الإدراج ، فلما وصلوا أمكنهم التحريك، وجعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت ولا بين أربعة أحرف متحركة ، لأنهم في اجتماع الساكن يبطئون ، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون ، وتذهب المهلة في كلامهم فجعلوا الحركة عقيب الإسكان"[١١١] . ولكن

---

[١١٠] قطرب: هو محمد بن المستنير وقطرب لقب أطلقه عليه سيبويه لمباكرته له في الأسحار ، وضعه الزبيدي في الطبقة السابعة من النحويين البصريين. أدب الأمين بن هارون الرشيد . وهو أول من قال بالإعراب بالحروف(الذي عليه العمل اليوم) مخالفا قومه البصريين. وهو أول من ألف في العلل . توفي سنة ٢٠٦هـ.

[١١١] السيوطي : الأشباه والنظائر :٧٩/١.

رأيه هذا لم يجد له مناصرين ، خاصة وأن فكرة العامل التي قعد لها الخليل وسيبويه كانت مجيبة لاحتياج اللغة ، ولاهتمامات الناس المنطقية ، ومشبعة لمجالس الدرس والتعليم والجدل التي تريد تفسيراً عقلياً يجعل الألفاظ مطية له ، لا يجعلها متحكمة فيه بما فيها من (مهلة) ذاهبة، وعجلة تحكم الرفع والنصب مثلاً في لفظ التوكيد في القراءتين " إن الأمر كلَّه لله "[١١٢] ، " إن الأمر كلُّه لله " وهذا ليس تحريكاً معاقباً للإسكان فقط ولكنها حركات مختلفة فلم اختلفت ؟ وكأن قطرب يقرأ سؤالنا هذا عبر الزمن ويرد عليه، بل قد سئله :" وقيل له : فهلا لزموا حركة واحدة ؟ فقال : لو فعلوا ذلك لضيقوا على أنفسهم ، فأرادوا الاتساع في الحركات وألاَّ يحظروا على المتكلم الكلام إلا بحركة واحدة " . ولم يسر على قوله أي تأليف نحوي.

وضع أسس الصرف والاشتقاق

إن ما خلفه الخليل في بنية الكلمة العربية وأصولها ، وتحليل بعض المفردات من حيث أصالة حروفها أو تكونها من دمج كلمات أخرى _ قد كان أساساً بنى عليه من بنوا علم الصرف، في تقعيد وتفصيل للعلم جعل دراسة البنية دراسة كاملة تستقل عن علم النحو. وقد كان ما تركه لنا الخليل بارزاً في نقول تلاميذه كما دونها سيبويه في " الكتاب " أو كما نقلها من جمعوا كتابه "العين" .

---

١١٢ سورة آل عمران : الآية١٥٤

ففي بحث الخليل في عدة حروف الكلمة المجردة، أو أصول البناء رأى أن الكلمة لا تقل أصولها عن ثلاثة ، وأن الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف : حرف يبتدأ به ، وحرف تحشى به الكلمة ، وحرف يوقف عليه ، فهذه ثلاثة أحرف مثل سعد ، وعمر ونحوهما من الأسماء ، بدئ بالعين ، وحشيت الكلمة بالميم ، ووقف على الراء. فأما زيد وكيد فالياء متعلقة لا يعتد بها "[١١٣] ثم يعلل بعد ذلك لما يرد من الأسماء على حرفين ، فيقول : إن الثالث ذهب لعلة ، يتأولها في كل كلمة تشذ عن القاعدة التي وضعها من أن الكلمة العربية من ثلاثة أحرف .

وحلل الحروف إلى أصلية وزائدة ، فقسم الكلمات بذلك إلى مجردة ومزيدة ، ملاحظاً أن المجردة لا تزيد على خمسة ولا تقل عن ثلاثة [١١٤] وهو واضع الميزان الصرفي المشهور، مستمداً من نفس طريقته في وضع " العروض "، فحروف الميزان الصرفي تشبه حروف موازين العروض وتفعيلاته ، ثم فرع عن الوزن قوانين القلب والإعلال ، فتجد في وزن اسم المفعول من الأجوف رأياً له أن الزائد في نحو (مقول)و(مبيع) -واو مفعول- هو المحذوف وليس الحرف الأصلي الثاني من (قول) أو (بيع)، وعلة ذلك أن الزائد أولى بالإعلال من الأصلي[١١٥]. ومن تحليله لبناء بعض الكلمات خلص إلى أصول كلمات نحو: ليس ، لن.

---

[١١٣] الخليل بن أحمد : العين : ص٤ من مقدمة المؤلف .
[١١٤] الخليل بن أحمد : العين : ص٣ من مقدمة المؤلف .
[١١٥] شوقي ضيف : المدارس النحوية: ٣٥-٣٦.

إن الجدل الصرفي الذي أورده "الكتاب" في وزن (أشياء) وربط الوزن الصرفي بالسماع لإعراب الكلمة ممنوعةً من الصرف ، وإدخال علل المنع من الصرف هذا مما يعكس لنا عقلية الخليل التعليلية ، والتي تجعل التعليل مع السماع أساساً للقياس ، ولعل هذا ما جعل مترجميه يقولون عنه إنه " رافع لواء القياس وكاشف قناعه "[116]، ولكن تعليله أحياناً فيه شيء من الانطباعية وليس تعليلاً موضوعياً تماما كما نجده عند الزجاجي مثلاً ومن تلاه ، وأكبر شاهد على ذلك مقالة الخليل نفسه التي يوردها علينا السيوطي في "الاقتراح" قائلاً : " ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقيل له : "عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقامت في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها ، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منها ، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست ، وإن يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له ، ومثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارًا محكمة البناء عجيبة النظم والإحكام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق ، و البراهين الواضحة ، والحجج اللائحة ، فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شئ منها قال : إنما هذا لعلة كذا ، لعلة سنحت له وخطرت بباله محتملة أن تكون علة لتلك ، فجائز أن

[116] ابن جني : الخصائص : ١/ ٣٦١.

يكون فعله لغير تلك العلة ، إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكـون علة لذلك ، فإن سنحت لغيري علة لما عللته من النحو هي أليـق ممـا ذكرته بالمعلول فليأت بها "[117].

وقلّ في " الكتاب " ذكر القواعد الأصولية مـن أسـس القيـاس أو التعليل ، أو شروط للسماع أو للترجيح أو الأقيسة والمسموعات ، ولكن كثر تطبيقها الذي تجده مبثوثاً في ثنايا " الكتاب " رواية عن الخليـل أو غيره أو إنشاءً من سيبويه ، ولعل هذا الذي في" الكتاب" كان سـبباً لأن يقول الزبيدي عن الخليل : "إنه استنبط من علل النحو ما لم يستنبطه أحد ، ولم يسبقه إلى مثله سابق "١١٨.

فمقدمات أصول النحو التي ظهرت من قبل مع ابن أبي اسحق الحضرمي والذي وصف بكونه (أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل) - كما تكرر كثيراً - قد دوّن تطبيقها من حلقات الخليل إلى كتاب سيبويه ، وفتح الباب أمام من جمعوا هذه التطبيقات وجعلوها قواعد ، وصنعوا بها علماً (لأصول النحو).

---

[117] السيوطي: الاقتراح: ٢٨٦.
[118] الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين : ٤٣.

القسم الثاني
أصول النحو العربي

(١) التعريف بعلم أصول النحو وبدايته

التعريف:

يقول السيوطي عن علم أصول النحو:" علم يبحث فيه عن أدلة النحـو الإجمالية مـن حيـث هـي أدلتـه وكيفيـة الاسـتدلال بهـا وحـال المستدل"[١١٩].وأدلته الغالبة أربعة ، ذكر منهـا ابـن جنّـي ثلاثـة فـي الخصائص بقوله:"أدلة النحو ثلاثة: السماع والإجماع والقيـاس" وذكـر الأنباري في لمع الأدلة ثلاثة بقوله:" أدلة النحـو ثلاثـة :نقـل وقيـاس واستصحاب حال" فاتفقا في السماع والقياس، وذكر ابن جنّي الإجمـاع وذكر الأنباري الاستصحاب.

ارتباط أصول النحو بأصول الفقه:

عُرف أن أوائل درس النحو كان معالجة أخطاء في آيات القرآ وتقويمها، بل إن أسباب وضع النحو في أهم جوانبها كانت الحفاظ عل لغة القرآن من اللحن والخطأ الذي بدأ يفشو، وهذا الارتباط القوي بـين العلوم الدينية والنحو لم ينقطع. كذلك الارتباط بين أوائل النحاة واشتغال بالقراءات والفقه مما تزخر به كتب التراجم حيث نقرأ لأوائلهم خاصـ مثل ابن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم ، حتـ تصل إلى من تخصصوا في النحو أكثر من غيره وعرفوا به، ولكنهم ينقطعون عن مجالس الفقهاء والقراء وحلقاتهم ، فهذا الخليل بـن أحمـ (تـ ١٧٥هـ) يأخذ بقبس من أبي حنيفة النعمان[١٢٠] شـيخ أصـحا

---

١١٩ السيوطي : الاقتراح في أصول النحو وجدله(لتحقيق:د.محمود فجال)/السعودية-أبها ط١٤١٩:١-١٩٨٩:ص ٤

١٢٠ أبو حنيفة النعمان: هو النعمان بن ثابت فقيه العراق الإمام , توفي سنة ١٥٠هـ .

المذاهب الأربعة وأولهم وقاضي البصرة للمأمون ، وصاحب "مذهب الرأي"[١٢١] المشهور في الفقه الإسلامي ، وواضع كثير من أصوله في رواية تلاميذه من أمثال أبي يوسف[١٢٢] ومحمد بن الحسن[١٢٣] المعاصرين لسيبويه والذين لا شك في اتصاله بهم ، وأخذ بعضهم عن بعض .

ومدرسة الرأي في الفقه الإسلامي هي مدرسة الاجتهاد والقياس الأولى ، وزعماؤها معاصرون لأئمة النحو الأوائل ، وذلك زمن الرشيد والمأمون حيث كثرة المناظرات والجدال في مختلف العلوم ، وابتداع الأسس التي يبنى عليها ويفرّع في كل علم من العلوم ، ومن هنا برزت أوائل القواعد الأصولية ، والتي جمعها الشافعي [١٢٤] من بعد في رسالته التي أجاب بها عبد الرحمن بن مهدي[١٢٥] المحدّث وتأسس من بعدها علم أصول الفقه . يقول ابن خلدون في مقدمته: " ... ، فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم كلها صناعة كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فناً قائماً برأسه سموه أصول الفقه وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله عنه ، أملى فيه "رسالته" المشهورة تكلم فيها في الأوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ ، وحكم العلة

---

[١٢١] ابن النديم : الفهرست: ٢٥١.

[١٢٢] أبو يوسف : هو يعقوب بن إبراهيم ، فقيه حافظ للحديث عالم ، لازم الإمام أبا حنيفة وولي قضاء بغدادفي عهد المهدي والهادي والرشيد.

[١٢٣] محمد بن الحسن الشيباني : الفقيه الحنفي أصله شامي ، نشأ بالكوفة وتلقى عن علمائها ، مات والكسائي في يوم واحد برنبويه ، فقال الرشيد :" دفنت الفقه والنحو برنبويه " وكان ذلك سنة ١٨٩هـ .

[١٢٤] هو أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ثالث الأئمة الأربعة وكان عالماً في الأدب واللغة (ت ٢٠٤هـ) .

[١٢٥] عبدالرحمن بن مهدي : محدث توفي سنة ١٩٨هـ .

المنصوصة من القياس"[126] ورسالة الشافعي حوت بالإضافة لما ذكره ابن خلدون أسس الاحتجاج بالخبر والنقل كما تحدثت في الإجماع والقياس والاستحسان واختلاف العلماء، لذلك قيل إن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطو إلى علم المنطق ، وكنسبة الخليل إلى علم العروض ، وهذا لا يعني أن قواعد الاستدلال في الفقه لم تكن مطبقة ولكنها كما قال ابن خلدون لم تكن محوجة لمن ملكوا استنباط المعاني ، ومعايشة الرواة الأولين أن يدونوها ويفصلوا فيها ، كما كان الناس يطبقون النحو ويعرفون الخطأ فيه من اللحن قبل أن يُقَعِّدوا فيه القواعد ، ويدونوا أبوابه .

وكما أحوج تدوين الفقه والجدل في مسائله إلى تقعيد أصوله ، وتحديد أدلته ، فقد سار النحو من خلفه ، وأصبح النحاة يتحدثون عن أصوله ، بعد أن كان الكلام متفرقاً كما في الكتاب عن الخليل الذي قال عنه الزبيدي إنه :" استنبط من علل النحو ما لم يستنبطه أحد " وما ذكر قبله عن ابن أبي اسحق كونه : "أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل "[127] ويأتي ذكر ذلك مع أصول الفقه لما بين أصول الفقه وأصول النحو من مناسبة لا تخفى _ كما يبين الأنباري _ لأن النحو معقول من منقول كما أن الفقه معقول من منقول . وهو العلم الذي يعرفه الأنباري بقوله : " اعلم أن أصول النحو هي أدلة النحو التي تفرعت عنها فروعه

[126] ابن خلدون : المقدمة: ٣٥٤.
[127] الأنباري : نزهة الألباء: ٥٥.

وأصوله كما أن معنى أصول الفقه أدلة الفقه التي تفرعت عنها جملته وتفصيله "[128]. ومما يربط بين أصول النحو وأصول الفقه:

١. مفهوم الأصول في كلٍّ بأنها الأدلة الكلية كما في كلام الأنباري المتقدم.
٢. طريقة الاستدلال والاحتجاج بالنقل والعقل مع تقديم الأول وحاكميته في كليهما ، فالنحو كما الفقه معقول من منقول.
٣. الأصل الأول كلام الله فيهما معاً، ويشتركان في القياس ، إلا أنه في أصول النحو يتقدَّم الإجماع.
٤. الأحكام التي يُتوصَّل إليها من العلمين في مراتب في كلٍّ منهما ، ففي الفقه من الواجب للحرام ، وفي النحو من الواجب للممتنع .
٥....................
٦............[129]

ارتباط أصول النحو بالمنطق:

قال أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) : "بعد أن جمعت اللغة والأدب جاء علماء النحو والصرف ففلسفوا اللغة"[130]وهو يشير لما كان من أخذ أوائل النحاة بالمنطق ، وإقامتهم القواعد على استقراء كلام العرب الذي جمعوه ، وهذا حق ، إلا أن دخول التفلسف الحقيقي قد كان مع ولوع العلماء بالبحث في أصول العلوم بعد اكتمال معالمها التطبيقية،

---

[128] الأنباري : لمع الأدلة : ٢٧.
١٢٩ انظر د. محمود أحمد نحلة : أصول النحو العربي: ص١٥-١٧.
١٣٠ أحمد أمين :ضحى الإسلام:ص٢٧٧.

ليس في النحو وحده وإنما في مختلف العلوم . وقد تقدم ذكر صلة الخليل – مثلاً – بفرقة كلامية ، ولكن الصلة الأظهر كانت مع ابن السراج (ت٣١٦هـ) ؛ وقد ورد أن الفارابي[١٣١] كان يجتمع بابن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو ، وابن السراج يقرأ عليه المنطق[١٣٢] ، فجمع بين النحو والمنطق والموسيقى كذلك ، وشهرة الفارابي بالفلسفة والموسيقى أظهر من أن تبيَّن ، وابن السراج أول من ألف كتاباً باسم (الأصول في النحو) ، وبالتعرف على كتابه وما تلاه نجد الأثر الكبير للمنطق في علم أصول النحو.

التأليف في أصول النحو:

تقدَّم أن أصول النحو قد عرفت عند المتقدمين ، وذكرت في كتبهم قواعد كلية في النحو ، إلا أنها لم تجمع كعلم بهذا الاسم إلا متأخراً أوائل القرن الرابع الهجري ، وظهرت أول الأمر كتب في فروع أو أدلة جزئية ، أو جزءٍ من دليل . يذكر لنا ابن النديم كتاب (المقاييس في النحو) لأبي الحسن الأخفش ، ومما بقي منه ما رواه المازني عن "جواز الإتيان بغير المسموع من الكلمات على الأبنية الصرفية المسموعة" ، ولعل منهجه أقرب لاسم كتابه فكأنه جعل أصول النحو كلها مختصرة في كلمة (المقاييس) .

١٣١الفارابي: هو أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرها من العلوم، ولد ونشأ بتركيا ثم دمشق ومصر وعاد للشام في بلاط سيف الدولة وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ.

١٣٢ ترجمة محقق "الأصول " د. عبد المحسن الفتلي رواه عن ابن ابي أصيبعة "عيون الأنباء ١٣٦/٢" .

أما أول كتاب كتب بهذا الاسم فهو كتاب ابن السراج(الأصول) ، وابن السراج كان من أحدث غلمان المبرد سناً مع ذكائه وفطنته "[١٣٣] ، ولازم الزجاج بعد المبرد ، وقرأ كتاب سيبويه وأقرأه من بعده ، وابن السراج وكتابه بداية دخول المنطق الصُّوري أو الشكلي أو الأرسطي للنحو العربي ، على أن الكتاب بأبوابه الخمسة والتسعين ليس أصولاً كله ، بل إنك تبحث فيه عن المفردات الأصولية بحثاً ، وعندما تجدها تجبهك انعكاسات المنطق الصُّوري ، والإيغال في القياس ، وتجد وراء كل باب عبارة (مسائل) مضافة إلى اسم الباب ويأتي فيها ببعض التعليل ، واختلافات النحاة فيها ، وكأن سبب ذكر الأبواب النحوية والتفصيل في شرحها ما ذكره في الكتاب بقوله : " ولما كنت لم أعمل هذا الكتاب للعالم دون المتعلم، احتجت لان أذكر ما يقربه على المتعلم "[١٣٤] فكأن الوقفات الأصولية فيه كانت تستدعي هذا الشرح المطول في قواعد النحو ، وليست أدلته كما تقدم في شرح النصوص ، إلا أنك تجد تعليلاً مثلاً في وسط الشرح كما في حديثه في الإعراب :" واعلم أن الإعراب عندهم إنما حقه أن يكون للأسماء دون الأفعال والحروف وأن السكون والبناء حقهما أن يكونا لكل فعل أو حرف ، وأن البناء الذي وقع في الأسماء عارض فيها لعلة ، وأن الإعراب الذي دخل على الأفعال المستقبلية إنما دخل فيها لعلة ، فالعلة التي بنيت عليها الأسماء هي وقوعها موقع

---

[١٣٣] ابن النديم : الفهرست : ٨٦.

[١٣٤] ابن السراج :الأصول : ٣٧/١ .

الحروف ومضارعتها لها"[135] هذا التعليل المنطقي والاجتهاد في بيان علة بناء الأسماء المبنية وإعراب المضارع ، فيما سماه بعلة العلة أو العلل الثواني كما سماها من بعده ، وهو الذي ابتدر القول بها في مقدمة كتابه هذا حيث قال : " واعتلالات النحويين على ضربين : ضرب منها هو المؤدى إلى كلام العرب ، كقولنا كل فاعل مرفوع ، وضرب آخر يسمى علة العلة ، مثل أن يقولوا : لم صار الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً ، ولم إذا تحركت الياء والواو وكان ما قبلهما مفتوحاً قلبتا ألفاً ، وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب، وإنما نستخرج منه حكمتها التي وضعتها ، ويتبين بها فضل هذه اللغة على غيرها من اللغات ، وقد وفر لها الله تعالى من الحكمة ما يحفظها ، وجعل فضلها غير مدفوع . وغرضي في هذا الكتاب ذكر العلة التي إذا اطّردت وصل بها إلى كلامهم فقط ، وذكر الأصول والشائع لأنه كتاب إيجاز "[136] .

هذا كلام ابن السراج ، وحقيقة الأمر لمتصفح هذا الكتاب أنه ليس بموجز أبداً ، بل إنه يسير بشرح وتعليل لجزئيات الجزئيات ، والأصول كما قدمنا تعنى بالأدلة الكلية ، وإنما هذه الجزئيات هي القواعد المستنبطة باستخدام الأدلة الأصولية هذه، وإذا تتبعت الكتاب تجده يذكر كلمة الأصول عن قاعدة جزئية، ففي باب يعقده باسم (جمل الأصول التي لا بد من حفظها لاستخراج المسائل بجميع أقسامها)[137] تجده يقول : " الياء

١٣٥ ابن السراج :الأصول : ٥٠ .
١٣٦ ابن السراج :الأصول : ٣٥/١ .
١٣٧ ابن السراج :الأصول : ٣٠٢/٣ .

لا تخلو من أن تكون ساكنة أو متحركة ، الساكنة لا تخلو من أن تكــون بعد حرف مفتوح أو حرف مكسور ، أو حرف مضموم ، فإن كانت الياء بعد حرف مفتوح ...إلخ " فهو يفصل في قاعدة جزئية حول مجيء الياء حرف علة ومجيئها صحيحة ومواضع كلٍّ ، وهذا أمــر لا علاقــة لــه بالأصول إلا إذا فهم منها أساسيات قواعد النحو والصرف والخط التــي ينقل كثيراً منها من (كتاب) سيبويه ، وغيره .

ولكننا لا بد أن نقرر أولية ابن السراج في التسمية ، وأوليتــه فــي تفصيل الحديث في العلة ، وأوليته في إدخال الجدل المنطقي في عرض الخلافات بين النحاة وترجيح الآراء ، وإدخال مصطلحات مثل المطــرد والشاذ وبيان أنواع الشاذ كما سيرد في الحديث عن القياس.

وللزجاجي (ت ٣٣٧هــ) تلميذ ابن السراج كتاب في الأصول لكنه في جانب من العلم لا يشمله جملة ، وهو (الإيضاح في علل النحو) ، وقد سبقه في موضوعه محمد بن المستنير قطرب (ت ٢٠٦هــ) بكتابه الذي يذكره ابن النديم ومن أخذ عنه بعنوان (علل النحو)، ولم يصلنا وإنما وصلت أخباره ، ومنها ما تقدم من تعليله لدخول الإعراب في الكلام. وسبقه _ أي الزجاجي _ كذلك ابن كيسان (ت ٢٩٩هــ) بوضع كتاب في العلل سماه (المختار في علل النحو) ذكره الزجاجي كذلك في (الإيضاح)، ومن أبرز روايات تعليلاته مسألة إعراب (إنَّ هذان لساحران) وقوله ببنائها لأن المفرد مبني وهو (هذا) وكذلك الجمع

(هؤلاء) مبني ، فجعلها مبنية مثلها ، وعلل بناء كلمة (أمسِ) بتضمنها معنى الفعل الماضي[١٣٨].

أما كتاب الزجاجي فهو الذي وصلنا محتوياً ما قاله سابقوه في شأن العلة النحوية دارساً له ، وناقداً ، وناقلاً ، ويشير فيه إلى (كتب كثيرة جداً) _ كما يقول _ كتبت في الأصول إلا أن ما وصلنا من كتب الأصول ما تقدم ذكره من كتاب ابن السراج ، وكتاب لأبي جعفر النحاس يذكره القفطي ، وكتاب لابن درستويه يذكره الزبيدي . المهم أن كتاب الزجاجي قد اختص بذكر العلة . والزجاجي تلميذ لابن السراج ، وإذا تناولنا صلة ابن السراج بالمنطق الشكلي فالزجاجي أبعد فيه مدًى ، وزمانه أكثر فيه إغراقاً ، لذلك تجده يبدأ بإضافة علة ثالثة للَّتين ذكرهما ابن السراج، فيقول :" وعلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب : علل تعليمية ، وعلل قياسية ، وعلل جدلية نظرية "[١٣٩] والعلل الأول هي التي قال عنها ابن السراج أنها الضرب المؤدي إلى معرفة كلام العرب ، والعلل الثواني هي القياسية وهي التي قال عنها ابن السراج علة العلة ، والعلل الثوالث التي أتى بها الزجاجي هي الجدلية كما قال . والبحث في العلل فرع من القياس ، لأن العلة ركن من أركان القياس ولذلك فهي جزء من جزء في أصول النحو ، ولكنها عند الاحتجاج تأخذ أهمية أعظم من غيرها في تأييد رأي أو مذهب ، ولذلك امتدح الزجاجي مؤلفه

١٣٨ شوقي ضيف : المدارس النحوية : ٢٤٦ .
١٣٩ الزجاجي: الإيضاح : (بتحقيق مازن المبارك)/ القاهرة / ١٩٥٩م/ ص٦٦ .

بالتخصص فيها وهو يقدم له بقوله : " وهذا كتاب أنشأناه في علل النحو خاصة ، والاحتجاج له وذكر أسراره وكشف المستغلق من لطائفه وغوامضه دون الأصول ، لأن الكتب المؤلفة في الأصول كثيرة جداً ، ولم أرَ كتاباً إلى هذه الغاية مفرداً في علل النحو ، مستوعباً فيه جميعها ، وإنما يذكر في الكتب بعقب الأصول الشيء اليسير منها مع خلو أكثرها منها "[١٤٠] وكأنه هنا يشير لابن السراج .

ويبدأ كتاب الزجاجي بتقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف كما بدأ ابن السراج ، ولكنه يورده للاحتجاج على صحة هذا التقسيم ، وحدوده وتعريفاته ، ثم يقف في حجج أصل المشتقات بين الفعل (في رأي الكوفيين) والمصدر (في رأي البصريين) ويجادل حجج كل فريق ، حتى يصل لحديثه في العلل وتقسيمها إلى تعليمية وقياسية وجدلية ، ثم يأتي للحديث عن الإعراب والكلام أيهما أسبق ولم دخل الإعراب في الكلام ، ثم يأتي لعلل التنوين ،وثقل الفعل ، وخفة الاسم ، وامتناع الأسماء من الجزم، والأفعال من الجر ، مناقشاً في أمر اختلاف المدرستين وعلل كل؛ فيأتي الزجاجي بمعارفه المنطقية وجدل علم الكلام الذي فشا في زمانه ، فيخرج حجة بعد حجة ، وعلة بعد علة ، ويجعل لأدلة الأحكام النحوية سلاسل منطقية يناقش خلالها أقوال سابقيه ، ويعيد صوغ حججهم وفقاً لمنهجه، فكتابه كما عرضناه أقرب لمنهجية الأصول

---

١٤٠ الزجاجي: الإيضاح : ص٣٨ .

من كتاب شيخه ابن السراج ، وهو أقل منه حجماً بكثير (أوراق مخطوطته أربعون ورقة فقط)، وأكثر تطبيقاً للمنطق الشكلي ، وأقل إيراداً للقواعد الفرعية وإن لم يخل منها.

ولا نخرج عن القرن الرابع الهجري حتى يلاقينا أول من جعل للأصول قواعد ، وحدد هذا العلم وإن أتى معه بفقه اللغة ، ألا وهو أبو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ) صاحب (**الخصائص**)، ففي كتابه قيَّد الاحتجاج ، وقسم العرب المحتج بكلامهم إلى أهل وبر وأهل مدر، وقد أحاط ابن جني بالقياس وبالسماع ولغات العرب إحاطة كبيرة ، وتداخلت أصول النحو مع فقه اللغة عنده تداخلاً متناسقاً ، حتى ليكاد يجعلنا نقول أن كلاً منهما من الآخر لولا أن تطور فقه اللغة بعد ابن جني تطوراً كبيراً واتسعت قضاياه . أما في الأصول فقد حوى "الخصائص" أصولاً مفترعة – كما قال – من أصول الكلام والفقه ، مثل الاطّراد والشذوذ التي بني بها على اللبنات التي وضعها ابن السراج ، والسماع والقياس وتعارضهما[١٤١] .

و(خصائص) ابن جني تعكس لنا آراء قيمة عن الأصل المقيس عليه، والفرع وهو المقيس وما ينتج عن ذلك وهو الحكم، فإن له آراء قيمة كذلك في العلة التي قيس بها الفرع على الأصل _ أو العكس _ فقد جوز قياس أصل على فرع فكما حمل النصب على الجر في المثنى حمل الجر

١٤١ ابن جني : الخصائص:٦٧/١.

على النصب في ما لا ينصرف [142] فقال مثلاً بجواز علتين في معلول واحد : " قد يكثر الشيء ويُسأل عن علته كرفع الفاعل ، ونصب المفعول ، فيذهب قوم إلى شيء وآخرون إلى غيره ، ... ، فقد يكون الحكم الواحد معلولاً بعلتين " [143] ، وغير ذلك مما أورده في القياس ، وفصّل في تعريف الإجماع وتطبيقه.

والكتاب الذي اكتمل فيه منهج أصول النحو ، وحمل اسم أصول النحو كتاب الأنباريّ : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي" ٥١٣- ٥٧٧هـ (لمع الأدلة في أصول النحو) . وعلم أصول النحو ارتبط بالاحتجاج والخلاف ، وهذا ما كان الأنباري أبرز مؤلفي كتبه، والجو الذي عاش فيه الأنباري جوّ مشبع بالجدل والمناظرات والمحاورات ، فكان أبو البركات متقناً لفن المناظرة والمحاورة شغوفاً به بارعاً فيه، وهو يسير في كتابه على منهج في أصول النحو يحدده ، إذ يقول في مقدمته:" ... أما بعد فإن جماعة من أهل الفضل والاستبصار سألوني – بعد ابتكار كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" وكتاب " الإغراب في جدل الإعراب" – أن أعزز لهم بكتاب ثالث في الابتكار يشتمل على علم أصول النحو ، المفتقر إليه غاية الافتقار ، ليكون أول ما صنف في هذه الصناعة الواجبة الاعتبار، فأجبتهم على وفق طلبتهم في ثلاثين فصلاً على غاية الاختصار".

[142] السيوطي: الاقتراح: ٢٢٩.(عن ابن جني) .
[143] ابن جني : الخصائص:١/١٠٠.

ثم جاء كتاب السيوطي (ت٩١١هـ) (الاقتراح في أصول النحو وجدله) ، والذي جمع فيه مقالات السابقين ، ورتبها أحسن ترتيب، كما وصفه في مقدمته بقوله:" هذا كتاب غريب الوضع، عجيب الصنع ، لطيف المعنى ، لم تسمح قريحة بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله ،في علم لم أسبق إلى ترتيبه ، ولم أتقدم إلى تهذيبه ، وهو أصول النحو الذي هو بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه"[١٤٤]، والسيوطي أكثر من سابقيه تأثراً بالمنطق، ويتشارك عنده النحو والفقه وأصولهما في تأثير كل منها على الآخر. وقد جعل كتابه مقسماً على ثمانية أقسام سماها كتباً هي:

١. المقدمات : تعريف الأصول والنحو وما يتصل بهما.
٢. السماع.
٣. القياس.
٤. الإجماع.
٥. الاستصحاب.
٦. أدلة أخرى.
٧. تعارض الأدلة.
٨. أول من وضع النحو والتصريف.[١٤٥]

---

[١٤٤] السيوطي : الاقتراح : ص١١٧٦-١٢٢(طبعة السعودية).
[١٤٥] السيوطي : الاقتراح: ص: ١٢٢،١٥١، ٢٠٣، ٢١٣، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٣٩، ٣٦١.

(٢) الأصول الأربعة وما يتصل بها

الأصل الأول : السماع

السماع أو النقل كما سماه الأنباري أصل بنفسه ، وهو أصل كذلك للقياس وغيره ، وعرفه الأنباري بقوله: " المقصود بالنقل الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن القلة إلى حد الكثرة" [١٤٦] وهذا تعريف نضج بمرور الزمان واكتساب المنطق وغيره من العلوم في القرن السادس الهجري ، ولكنه يعبّر عما طُبّق منذ أول أخذ النحو عن العرب ، واستمداد الكلام العربي الفصيح من القرآن ، والحديث _ على اختلاف في ذلك _ ، وشعر العرب ونثرهم حتى القرن الثاني عند أهل المدر، وحتى الرابع الهجري عند أهل الوبر _ كما سماهم ابن جني _ ، فالاستشهاد بالشعر ينتهي بالإسلامي الذي يعد آخره إبراهيم بن هرمة[١٤٧] ، ويُرفض شعر المحدثين ابتداءً من بشار بن برد[١٤٨] ، وقد نقل عن أبي عمرو بن العلاء عندما سئل : أخبرني عما وضعت مما سميته عربية ، أيدخل فيها كلام العرب كله ؟ فرد بـــ : لا • فقلتُ (الضمير للسائلِ والدِ ابن نوفل) كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر ، واسمي ما خالفني لغات "[١٤٩] واشتهر القول بالأخذ عن عالية السافلة وسافلة العالية واشتهرت قبائل بالأخذ عنها وهم قيس وتميم

١٤٦ الأنباري : لمع الأدلة : ٨١-٨٤.
١٤٧ إبراهيم بن هرمة : آخر الشعراء الإسلاميين الذين يحتج بشعرهم .
١٤٨ بشار بن برد : رأس الشعراء المحدثين ، شهد الدولتين الأموية والعباسية .
١٤٩ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين: ٣٩.

وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، والضابط عدم الاختلاط بالعجم والبعد عن السواحل ، لذلك تجد ياقوت يمتدح أهل (العكوتين) لأنهم باقون على فصاحتهم بسبب عدم اختلاطهم بغيرهم[١٥٠]. قال السيوطي : " أما القرآن فكل ما ورد بأنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً " ثم قال : " وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة "[١٥١] ولعله يقصد خلافاً معتبراً ، إذ روي الخلاف في الأخذ بالقراءة الشاذة ، بل روي عن كثير من البصريين قدحهم في بعض القراءات المتواترة، وأنكر عليهم ذلك أكثر المتأخرين من مثل ابن يعيش والسيوطي وابن مالك[١٥٢] وغيرهم.

أما الاحتجاج بالحديث الشريف فالأمر فيه يكاد يكون إجماعاً على عدم قبوله ، وحتى المتأخرين كالسيوطي مثلاً وابن حيان تجدهم يضعون المحاذير والحدود التي لا تكاد تبقي على حديث يستشهد به ولهم في ذلك حجتان : الأولى رواية الحديث بالمعنى ويعولون فيها كثيراً على كلمة سفيان الثوري :" إن قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني إنما هو المعنى" ، والحجة الثانية : " أنه وقع اللحن كثيراً فيما روي من

---

١٥٠ قال ياقوت في باب العين واللام وما يليهما : "وجبلا عكاد: فوق مدينة الزرائب وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مناكحة، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه"

١٥١ السيوطي : الاقتراح: ١٥٢.

١٥٢ في شرح المفصل للأول ، وتقدم رأي الثاني قبل سطور ، والثالث في الألفية وشروحها.

الحديث " [153] . وبالرجوع لكتب الأوائل تجد مصداقاً لمنع الاستشهاد بالحديث ، فكتاب سيبويه الذي حُصيرتْ شواهده القرآنية بما يزيد عن الأربعمائة لم يرد به سوى حديثين لم ينسبهما للرسول صلى الله عليه وسلم،[154] وعدَّ السيوطي عدداً من الأوائل بصريين وكوفيين لم يحتجوا بالحديث ولكن المتأخرين أو على الأصح كثيراً من المتأخرين أجازوا ذلك وطبقوه بقدر كابن خروف وبإكثار كابن مالك ، وفي مواضع محدودة عند نحويي القرن السادس : الزمخشري وابن الأنباري وقد أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن : "من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في الاحتجاج به في اللغة " وعددها أنواعاً ستة منها : المتواترة المشهورة ، وما تستعمل ألفاظها في العبادات وكتب النبي صلى الله عليه وسلم[155] .

بقي الأمر الثالث في السماع وهو كلام العرب نثره وشعره ، وفي هذا مفاخرة البصريين في أنهم يأخذون من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع " وأنتم _ للكوفيين _ تأخذونها من أكلة الشواريز وباعة الكواميخ " ، ذلك أن الأخذ يكون من العرب أهل البادية (الوبر) لا عن أهل الحواضر (المدر) ، ويبالغ بعضهم في تأكيد ذلك ، فهذا الفراء عندما ينكر عليه أمر يرد بأنه لا يعنيه اعتراضه وقد نطقت به العرب البوالين على أعقابهم ، فتجدهم جميعاً يعظمون شأن الأخذ عن الرواة من أهل البادية ،

---

١٥٣ السيوطي : التاقتراح : ١٥٩.
١٥٤ الكتاب : ٢/٣٢-٢/٣٩٣.
١٥٥ مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (١٩٣٢-١٩٦٢) مجموعة القرارات العلمية : ٣-٤.

وإن تشدّد البصريون في شأن غيرهم وترخّص الكوفيون . أما تحديدهم الزماني فيكادون يجمعون عليه أنه أواسط القرن الثاني الهجري بنهاية الإسلاميين وحده إبراهيم بن هرمة ، وتحديدهم للقبائل الذي تقدم ذكر ضوابطه ، ومقولات سافلة العالية ، وعالية السافلة ، وأنهم لم يأخذوا عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم حولهم [١٥٦] ، ووضعت الأعذار لسيبويه في الاحتجاج بشيء من بشار بن برد ، وللزمخشري في استشهاده ببيت لأبي تمام . أما سكوتهم في القبائل المأخوذ عنها عن قريش فلعله كان لأمرين : أولهما أنها أظهر من أن يشار إليها لنزول القرآن بلغتها ، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بفصاحتها وكونه منها ، والأمر الثاني حتى لا يخرجوا عن قاعدتهم في عدم الأخذ عن الحضر ومكة من كبرى الحواضر ، واستعاضوا عن ذلك بالاستشهاد بلغتها في كل موضع ولم يضعف أحدهم هذا ، واعتبار سيبويه لها (اللغة الأولى القدمى)[١٥٧].

يتضح أنه كما اختلف الأولون في شأن السماع قراءات وحديثاً وشعراً أو نثراً ، فقد اختلف كذلك المعاصرون وخلال ذلك نشأت الحاجة لعدة علوم ازدهرت من هذه الخلافات ، فكثر البحث في شأن القراءات ، وما عادت وقفاً على المفسرين وأصحاب القراءات ، وإنما ضرب فيها النحويون بسهم وافر ، كذلك اتصلت دراسة الرواة وأحوالهم واحتاج

١٥٦ السيوطي : الاقتراح : ١٦٢، وابن جني : الخصائص : ٥/٢ .
١٥٧ محمود نحلة : أصول النحو العربي: ٦٣.

النحوي لأن يلم بالحديث وعلم الرجال والمصطلح وغير ذلك ، كما اشتهر درس الطبقات للشعراء والرواة والنحاة ، وخلال ذلك يلم النحوي بجغرافية جزيرة العرب وتوزع القبائل فيها والتداخل من الخارج .

الأصل الثاني الإجماع:

الإجماع هو الأصل الثالث من أصول الفقه الإسلامي، ويطلق على اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر بعد وفاته فيصبح حكماً على اللاحقين لا يحتاجون لبحثه مرة أخرى، ويقيم الأصوليون حجتهم على أن الجماعة لا تتفق على باطل،وأن المجتهدين هم ممثلوها ولا عبرة باجتماع العوام ومن جَهِل، لأنه قول في دين الله بغير علم.

أما في اللغة فالإجماع يأتي بعد النقل أو السماع ، وشأنه شأن الفقه يكون حجة إذا لم يخالف المنصوص[١٥٨] ، ويختلف عن الفقه بأنه مقيَّد كذلك بالقياس ، فليس هو كالحكم الشرعي المنصوص على أن الأمة لا تجتمع فيه على الخطأ ·وقال ابن جني **بإجماع الفريقين** ، أي البصريين والكوفيين [١٥٩]، وطبقه الأنباري حكماً في الإنصاف ، ففي أولى مسائله يذكر إجماعهم على أن الهمزة في أول (اسم) همزة تعويض[١٦٠] .

وقال المبرد في ما نقله ابن السراج **بإجماع الرواة** فيما يفهم من قوله : "وليس البيت الشاذ والكلام المحفوظ بأدنى إسناد حجة على الأصل

١٥٨ ابن جني : الخصائص : ١٨٩/١.
١٥٩ ابن جني : الخصائص : ١٨٨/١.
١٦٠ الأنباري :الإنصاف: ٨/١.

المجمع عليه في كلام ولا نحو ولا فقه ، وإنما يركن إلى هذا ضَعَفَة أهل النحو ومن لا حجة معه "[١٦١]. أما (الإجماع السكوتي) أو إجماع العرب فقد قال به السيوطي[١٦٢]، ويعني أن يتكلم العربيُّ بشيء ويبلغهم ويسكتون عنه.

الأصل الثالث: القياس:

القياس هو الذي عرفه ابن الأنباري بأنه : " حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه "[١٦٣] ومن أقدم ما يروى عن القياس ما أورده يونس بن حبيب عن أستاذه عبد الله بن أبي أسحق (ت ١١٧هـ) أنه سأله عن (السَويق) وهو الدقيق الناعم من الحنطة ، هل ينطقها أحد العرب (الصَويق) بالصاد؟ فأجابه : نعم ، قبيلة عمرو بن تميم تقولها ، ثم قال له : وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس. وقد تطور الأمر مع ابن السراج من مجرد ذكر القياس ، وتطبيقه إلى تقعيده ، وتقسيمه أقساماً مع السماع عن العرب ، وإن سبقه المازني بقاعدة بنى عليها الكثيرون بعده والتي أوردها ابن جني وجعل لها باباً في الخصائص وهي " أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامها "[١٦٤]. وابن السراج على الرغم مما قلناه عن كتابه حاز السبق في ذكر المطرد في القياس ، والشاذ فيه بقوله: " واعلم أنه ربما شذ الشيء عن بابه ، فينبغي أن تعلم : أن القياس إذا أطرد في جميع الباب لم يعن بالحرف

---

١٦١ ابن السراج : الأصول: ١٠٥/١.
١٦٢ السيوطي : الاقتراح :٢٠٧.
١٦٣ السيوطي : الاقتراح : ٢١٦
١٦٤ ابن جني: الخصائص: ١٩٥/١.

الذي يشذ منه ، فلا يطرد في نظائره وهذا يستعمل في كثير من العلوم ، ولو أعترض بالشاذ على القياس لبطل أكثر الصناعات والعلوم فمتى وجدت حرفاً لا شك في خلافه لهذه الأصول فاعلم : أنه شاذ ، فإن كان سمع ممن ترضى عربيته فلا بد من أن يكون قد حاول به مذهباً ونحا نحواً من الوجوه أو استهواه أمر غلطه ، والشاذ على ثلاثة أضرب : منه ما شذ عن بابه وقياسه ولم يشذ في استعمال العرب له نحو : استحوذ فإن بابه وقياسه أن يعلّ فيقال استحاذ مثل استقام واستعاذ ، وجميع ما كان على هذا المثال ، ولكنه استعملته العرب كذلك ومنه ما شذ عن الاستعمال ولم يشذ عن القياس نحو ماضي يدع ، فإن بابه وقياسه أن يقال ودع يدع ، إذ لا يكون فعل مستقبل إلا له ماضٍ ولكنهم لم يستعملوا ودع استغني عنه بترَكَ ، فصار قول القائل الذي قال : ودعه شاذاً ، وهذه أشياء تحفظ . ومنه ما شذ عن القياس والاستعمال فهذا الذي يطرح ولا يعرج عليه نحو ما حكي عن إدخال الألف واللام على اليجدع "[١٦٥]

ثم جاء – كما تقدم – الزجاجي ليكتب في العلة التي هي ركن من أركان القياس الأربعة: (المقيس ، المقيس عليه ، والعلة والحكم)[١٦٦] ، ولما جاء ابن جني زاد على قواعد القياس وتعريفاته التي قال بها ابن السراج ، مثل الاطراد والشذوذ فبنى على اللبنات التي وضعها ابن

١٦٥ ابن السراج : الأصول : ٥٦- ٥٧ .
١٦٦ السيوطي : الاقتراح : ٢١٧.

السراج وفصل في الأحوال الثلاثة التي ذكرها ابن السراج ، وزاد عليها رابعاً وهو المطرد في القياس والاستعمال[١٦٧].

وابن جني قدم القياس على الإجماع (والمعني به عند النحاة اجتماع نحاة البصرة والكوفة) وقال في ذلك : " إنما يكون حجة إذا لم يخالف المنصوص ، وإلا فلا ، لأنه لم يروَ في قرآن، ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ" [١٦٨] وهذا الموقف من ابن جني في إعطاء القياس هذه المكانة ، واعتباره حاكماً للسمع بعد أن يكتمل به الاستقراء ، ويتم فيه الإمعان والإتقان ، جعله يستمر في القول بقياس غير المستعمل على المستعمل ، أو ما عرف عند كثير من الباحثين [١٦٩] بالتمارين غير العملية، وهو بذلك يسير على خطى الخليل وسيبويه الذي كان يسأل الخليل _ كما أورد في "الكتاب" _ في تنوين رجل سمى (ضرب) والقول في رجل سمى (أرمه) [١٧٠]

العلة النحوية:

العلة من أركان القياس ، لذلك ارتبطت به وتذكر معه، وقد عرفت العلة منذ عرفت الأقوال الأولى في العربية فنروي قصة الإعرابي الذي علل تأنيث الكتاب بقوله :"أو ليس بصحيفة ؟"[١٧١]. وأئمة النحو الأولون لهم تعليلات كهذه اتسمت بالبساطة في غالبها وبأن صاحبها يعرضها

---

١٦٧ ابن جني : الخصائص:٦٧/١.

١٦٨ ابن جني : الخصائص:١٨٨/١.

١٦٩ مثلاً : شوقي ضيف في "المدارس النحوية" ومحمد عيد في " أصول النحو" ومحمود نحلة في " أصول النحو " وغيرهم .

١٧٠ الكتاب : ٣١٧/٣.

١٧١ كما يرويها شوقي ضيف في المدارس النحوية(ص٢٣)عن كتب الطبقات.

بأسلوب قومه وما تعودوه في مخاطبتهم حتى كان ابن أبي إسحاق الحضرمي والذي وصفه ابن سلام بأنه أول من "مد القياس وشرح العلل" وحكاية السّويق وقياسه أو دعوته للقياس. ومعه ومع عيسي بن عمر تبدأ خطوات التعليل في التسارع ، ويذكر السيوطي حضور الفرزدق مجلس ابن أبي إسحاق وسؤال ابن أبي إسحاق له:"كيف تنشد هذا البيت:

وعينانِ قالَ اللهُ كونا فكانتا ، فعولانِ بالألبابِ ما تفعل الخمر

فقال الفرزدق : كذا أنشد. فقال ابن أبي إسحاق ما كان عليك لو قلت : فعولين؟ فقال الفرزدق:لو شئت أن أسبّح لسبّحت. ويعقب السيوطى " فكان ذلك من الفرزدق إيماء إلي العلة "[١٧٢]. فالعلة هي الجامع بين المقيس (الفرع) والمقيس عليه(الأصل) ليأخذ المقيس (حكم) المقيس عليه. والعلة لازمة في النحو ، يقول ابن جني: " لسنا ندّعي أن علل أهل العربية في سمت العلل الكلامية البتّة ، بل ندّعي أنها أقرب إليها من العلل الفقهية وإذا حكّمنا بديهة العقل وترفعنا إلي الطبيعة والحس فقد وفّينا الصنعة حقّها وربأنا بها أرفع مشارفها "[١٧٣]وابن جني من التقعيديين العقليين الذين أكدوا أن المعيارية التي يعيبها المُحْدثون _ واللغويون منهم خاصة _لازمة في بناء النحو العربي ، وحتى حين انتقد القول بالعلل الثواني لم يلغها وإنما قال بأنها متممة للعلة الأولي ، فهي موجودة إذن ، وأشهر تقسيم لها تقسيم الزجاجي الذي تقدم.

١٧٢ السيوطي : الاقتراح : ص ٢٨٢-٢٨٣.

١٧٣ ابن جني : الخصائص: ٥٣/١.

إذاً فقد سار درب العلة النحوية أول أمره على آثار العرب الأولون أصحاب النطق ووصف ما قد يكون عرض لهم من تعليل بسيط من نحو (أو ليس بصحيفة) وجاء النقاش والمناظرات باحتجاجات احتاجت تطويلا في شرح(وبسط) العلل وامتداد الأمر إلى تصورات عقلية لما (ينبغي) أن تكون علة الأمر ، ورَفدَ المنطق والفلسفة وعلم الكلام وأصول الفقه ومجادلاتها كل ذلك، فاستحالت العلل إلى تعقيد وأمر تؤلف له المؤلفات في شرحه وتعريفه والنظر إليه من كل جانب ، يتقسم فيه أقساما تمده مسائل الخلاف وإعادة صياغتها بمادة تطبيقية تظهر فيها تصورات المتأخرين وأساليبهم في نقل ما كان بين المتقدمين ، ولا يمكن ادعاء أن رواية المجادلات النحوية كانت كرواية الحديث تواتر باللفظ والمعنى بل إن ذلك في الحديث النبوي نفسه لم يتأت إلا في أقله – كما يروى عن حجم ما استبعده البخاري إلى ما نقله – . وينتهي الأمر إلى تضجر بعض العلماء من هذه العلل ووصفها بالضعف والتكلف كأبيات ابن فارس (ت ٣٩٥) :

مرَّت بنا هيفاءُ مقدودةٌ ‌ ‌ ‌ ‌ تركيةٌ تنمى لتركيّ

ترنو بطرفٍ فاترٍ فاترٍ ‌ ‌ ‌ ‌ أضعفَ من حجَّة نحويّ

وقد اتخذ النظر في العلة النحوية ثلاثة اتجاهات متناقضة : اتجاه دعا للاقتصاد فيها وفي أصلها _وهو القياس الذي تأتي العلة فرعا منه لإقامة الحجة على صلة المقيس بالمقيس عليه _ ويبدو أنه قد كثر من يرون رأي ابن فارس الذي تقدم في بيتيه السابقين، واتجاه عمل على بسط العلل

وتفريعها وشرحها وتطبيق ذلك في المؤلفات النحوية، وأبرز ممثليه أبو البركات الأنباري في كتبه المختلفة ، والاتجاه الثالث اتجاه الثورة والانقلاب على هذه التقسيمات (التي ذكرها الزجاجي وغيره من النحاة) في العلل التي تدَّعي البحث عن الحكمة في أخذ العرب بهذه اللغة ، والتي لا يحتاج إليها في التوصل إلى صحة الكلام وأبرز من يمثل هذا الاتجاه ابن مضاء القرطبي في القرن السادس الهجري.

الأصل الرابع : الاستصحاب:

والاستصحاب أقل شأناً من الإجماع ، عرفه الأصوليون _ أصول الفقه _ بأنه بقاء الأمر ما لم يوجد ما يغيره ، فلا يتولد به حكم وإنما يُقَرُّ به ما هو قائم من نفي أو إثبات في حال عدم وجود ما يغيره ، أي أن يستصحب الأصل . وقد عرف الأنباري الاستصحاب في النحو بأنه : "إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل ". ثم قال بعد ذلك: " واستصحاب الحال من أضعف الأدلة ولهذا لا يجوز التمسك به ما وجد هنالك دليل "[١٧٤]. وتطبيقاته كثيرة ، كأن يقال الأصل في الأسماء الإعراب ، فلا تبنى إلا لسبب يخرجها عن الأصل.

تعارض الأصول:

ونعني به اجتماع أصلين متعارضين لحكم واحد ، فعلى أي أصل نستند؟ يحدد لنا العلماء سبيل تقديم أصل على آخر:

---

١٧٤ الأنباري: لمع الأدلة.

• قال الأنباري :"إذا تعارض نقلان أخذ بأرجحهما". وأصاف السيوطي أن الترجيح يكون بالسند أو المتن.

• قال ابن جني:"اللغات على اختلافها كلها حجة" وهذا معناه أن ما يرد مختلفاً ويصح بعضه على لهجة ويصح الآخر على لهجة أخرى فكله يصح ، مثل إعمال ما النافية على لهجة الحجاز وترك إعمالها على لهجة تميم، وليس لك أن ترد لغة من أعمل ولا من أهمل لأن كلاً استند على لغة. و لكن لك أن تقدم لغة على أخرى إذا كانت إحدى اللغتين أقوى قياساً دون أن ترد الأخرى[١٧٥].

---

[١٧٥] وهذا مارد به أبوعمرو بن العلاء على من

القسم الثالث
الخلاف النحوي

(١) نشأة النحو الكوفي

تبين لنا في القسم الأول دور " الكتاب" في تدوين النحو وتجميع شتاته ، وتنسيقه وجعله في متناول الدارسين، وكيف نشر مؤلفه أكثر مصطلحات النحو المتداولة حالياً ، بانياً على ما سبقه به السابقون مثل أبي الأسود وعيسى بن عمر ثم أستاذه الخليل بن أحمد العلم الأعلى في قمم النحو العربي.

تلازم مع هذا الجهد العظيم للخليل وسيبويه ظهور النحو الكوفيّ ، وبدء الخلاف النحوي، والذي يؤرخ له صاحب (الفهرست) وهو يورد أخبار أبي جعفر الرؤاسي[١٧٦] راوياً على لسان الكسائي قول أبي جعفر :"بعث إليَّ الخليل بطلب كتابي، فبعثت به إليه فقرأه ووضع كتابه، قال: وفي كتاب سيبويه (قال الكوفي) يعني الرؤاسي"[١٧٧] . ويركز المؤرخون للنحو ودارسوه على ظهور النحو في الكوفة أكثر من غيرها من البلدان لارتباط النحو فيها بالخلاف مع نحاة البصرة ، مع أن عبدالرحمن بن هرمز قد أظهر النحو بالمدينة زمن أبي الأسود ، كما أظهره ابن عباس بمكة ، أما الكوفة فأول من ظهر بالنحو بها القادم من البصرة شيبان بن عبدالرحمن التميمي المقرئ[١٧٨] (ت١٦٤هـ) ، ومع ذلك

١ أبو جعفر الرؤاسي: هو أبو جعفر محمد بن الحسن مولى محمد بن كعب القرظي لقب بالرؤاسي لكبر رأسه نشأ بالكوفة وأخذ عن عمه معاذ الهراء ثم ورد البصرة فأخذ عن أبي عمرو وغيره. ثم عاد إلى الكوفة فصنف كتابه (الفيصل) وهو رأس الطبقة الأولى من الكوفيين توفي في الكوفة في عهد الرشيد سنة ١٨٧هـ.

٢ ابن النديم : الفهرست ص ٨٩

[١٧٨] أبو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي كان مولى لبني تميم ، عاش بالبصرة وأخذ النحو عن تلاميذ أبي الأسود ، ، ثم سكن الكوفة وأخذ عنه علمها معاذ بن مسلم ، ثم انتقل لبغداد وكان يعلم أولاد داوود بن علي بن عبدالله بن عباس ، وصفه أحمد بن حنبل ويحي ابن معين بـ(ثقة) في الحديث ، توفي ببغداد ١٦٤هـ.(من نزهة الألباء للأنباري ص٣٥).

لم يصنفه الزبيدي في نحويي الكوفة ولا في لغوييها ، وهو الذي تخرج عليه معاذ بن مسلم الهراء[179] المشهور بأنه أول من تكلم في التصريف[180] ، ولم يذكر عن معاذ أنه أخذ عن بصريٍّ غيره ، إلا أن ابن أخيه أبي جعفر الرؤاسي قد أخذ مع الخليل عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ، وذكر أصحاب التراجم عنه قوله بأنه وجد عمه معاذ الهرّاء يعلِّم الناس العربية بالكوفة ، ويعدان الطبقة الأولى من النحاة الكوفيين مع أبي مسلم الذي شكا صعوبة الصرف ، وقد امتازت أخبار علماء الكوفة الأوائل بغلبة الصرف على النحو عكس البصرة ، وجاء الكسائي بعد هؤلاء ممثلاً طبقة برأسه، وجاء تلميذه الفرّاء في الطبقة الثالثة، وتوالت طبقاتهم لتختتم بالسابعة وفيها ثعلب[181] .

أثر طبيعة البصرة والكوفة ونشأتهما في التمهيد للخلاف:

يتحدث ياقوت الحموي في معجم البلدان عن تأسيس البصرة، فيقول:" قال قُطْرُب: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تَقلَعُ وتَقْطَع حوافر الدوابّ، قال: ويقال بصرة للأرض الغليظة، وقال غيره: البصرة حجارة رَخْوَة فيها بياض، وقال ابن الأعرابي: البصرة حجارة صلاب، قال: وإنما سميت بصرة لغلظها وشدّتها،...، وأما فتحها وتمصيرها فقد روى أهل الأثر عن نافع بن الحارث بن كلَدة الثَّقفي

179 أبو مسلم معاذ بن مسلم الهرّاء عم الرؤاسي ، ومن أخباره وضع الصرف لعبارتين حفظتا عنه ت ٢٨٧هـ

180 انظر - عبد الهادي الفضلي: مراكز الدراسات النحوية :ص٤٥،٤٣،٣٨.

181 ثعلب: هو أبو العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب مولى بني شيبان ولد ببغداد وتلقى عن ابن الأعرابي وابن قادم وسلمة بن عاصم وغيرهم ، اتصل بالخلفاء والأمراء كأسلافه الكوفيين فأدب المعتز وابن طاهر ، ناظر المبرد زعيم البصريين كثيراً . ومن مصنفاته الفصيح في اللغة والموفقي في النحو توفي سنة ٢٩١هـ (انظر ترجمته وترتيب الطبقات المذكور في كتاب الزبيدي :طبقات النحويين واللغويين).

وغيره أن عمر بن الخطاب أراد أن يتخذ للمسلمين مِصْراً، وكان المسلمون قد غَزَوْا من قبل البحرين توَّجَ ونُوبَنْدَجان وطاسان، فلما فتحوها كتبوا إليه : إنا وجدنا بطاسان مكاناً لا بأس به. فكتب إليهم: إن بيني وبينكم دجلة، لا حاجة في شيء بيني وبينه دجلة أن تتخذوه مصراً. ثم قدم عليه رجل من بني سَدُوس يقال له ثابت، فقال: يا أمير المؤمنين إني مررت بمكان دون دجلة فيه قصر وفيه مسالح للعجم يقال له الخُرَيْبة ويسمى أيضاً البُصَيْرَة، بينه وبين دجلة أربعة فراسخ، له خليج بحريٌّ فيه الماءُ إلى أجمة قصب؛ فأعجب ذلك عمر"[١٨٢] .

أما **الكوفة** فيقول ياقوت عن طبيعتها وتمصيرها:" قال أبو بكر محمد بن القاسم: سميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب: رأيت كُوفاناً وكَوْفاناً، بضم الكاف وفتحها، للرميلة المستديرة، وقيل: سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: تكوّف الرمل ؛ يتكوّف تكوّفاً إذا ركب بعضه بعضاً،....، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: لما فرغ سعد بن أبي وقّاص من وقعة رُستم بالقادسية وضمّنَ أرباب القرى ما عليهم بعثَ مَن أحصاهم ولم يسمهم حتى يرى عمر فيهم رأيَه، وكان الدهاقين ناصحوا المسلمين ودلوهم على عورات فارس وأهدوا لهم وأقاموا لهم الأسواق ثم توجه سعد نحو المدائن إلى يزدجرد وقدم خالد بن عرفطة حليف بني زهرة بن كلاب فلم يقدر عليه سعد حتى فتح خالد ساباط المدائن ثم توجه إلي المدائن فلم يجد معابر فدلوه على مخاضة عند قرية

١٨٢ ياقوت الحموي :معجم البلدان: ١ / ٣٦٣ .

الصيادين أسفل المدائن فأخاضوها الخيل حتى عبروا وهرب يزدجرد إلى إصطخر فأخذ خالد كربلاء عنوة وسبى أهلها فقسّمها سعد بين أصحابه ونزل كل قوم في الناحية التي خرج بها سهمه فأحيَوْها فكتب بذلك سعد إلى عمر فكتب إليه عمر أن حوّلهم، فحوّلهم إلى سوق حَكَمَة، ويقال إلى كُوَيفة ابن عمر دون الكوفة، فنقِضوا فكتب سعد إلى عمر بذلك، فكتب إليه: إن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح الشاةَ والبعير فلا تجعل بيني وبينهم بحراً وعليك بالريف، فأتاه ابن بُقَيلة فقال له: أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المَيقّة؟ قال: نعم، فدلّه على موضع الكوفة اليوم وكان يقال له سُورَستان."[١٨٣].

أما سكانهما الأوائل فيقول عنهم ياقوت:"فولاّها (أي ولى عمر البصرة) عُتبة بن غَزْوان بن جابر بن وُهَيب بن نُسَيْب، أحد بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة، حليف بني نَوْفل بن عبد مناف، وكان من المهاجرين الأولين، أقبل في أربعين رجلاً، منهم نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي وأبو بكرة وزياد ابن أبيه وأُختٌ لهم؛ وقال له عمر: إن الحيرة قد فُتحت فآت أنتَ ناحية البصرة وأشغلْ من هناك من أهل فارس والأهواز ومَيْسان عن إمداد إخوانهم. فأتاها عُتبة وانضمَّ إليه سويد بن قطبة فيمن معه من بكر بن وائل وتميم." أما عن سكان الكوفة فيقول: "ثم أسهمَ لنزار وأهل اليمن سهمَين فمن خرج اسمه أولاً فله الجانب الشرقي

---

١٨٣ ياقوت الحموي : معجم البلدان/٤٣٢

وهو خيرهما فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي".

• ماذا تستنتج عن أثر طبيعة الأرض وأصول السكان في منهج التلقي والتفكير ؟ وأي البلدين تتوقع أن يكون سكانه أكثر تشدُّداً في كلام العرب؟.

ولك هذه الحكاية عن ياقوت كذلك وهو يحكي عن أوائل من استوطنوا البصرة :" قال نافع بن الحارث: فلما أبصرَتنا الديادبة خرجوا هُرّاباً وجئنا القصر فنزلناه، فقال عتبة: ارتادوا لنا شيئاً نأكله. قال: فدخلنا الأجمة فإذا زِنبيلان في أحدهما تمرٌ وفي الآخر أرزٌ بقِشْره، فجذبناهما حتى أدنيناهما من القصر وأخرجنا ما فيهما، فقال عتبة: هذا سمٌ أعَدَّهُ لكم العدوُ، يعني الأرز، فلا تقربنَّهُ، فأخرجنا التمر وجعلنا نأكل منه، فإننا لكذلك إذا بفرَس قد قطع قِيادَه وأتى ذلك الأرز يأكل منه، فلقد رأينا أن نسعى بشِفارنا نُريد ذبحَه قبل أن يموت، فقال صاحبه: امسكوا عنه، أحرُسُه الليلة فإن أحسستُ بموته ذبحته. فلما أصبحنا إذا الفرس يَرُوثُ لا بأس عليه، فقالت أختي: يا أخي إني سمعتُ أبي يقول: إنّ السمَّ لا يضرُّ إذا نَضِجَ، فأخذتُ من الأرزُ تُوقد تحته ثم نادت: إلا إنه يتفصّى من حُبيبة حمراء، ثم قالت: قد جعلَتْ تكون بيضاءَ، فما زالت تطبخه حتى انماط قِشرُه فألقيناه في الجفنة، فقال عتبة: اذكروا اسم الله عليه وكلوه؛ فأكلوا منه فإذا هو طيب، قال: فجعلنا بعد نميط عنه قشرَةُ ونطبخه". هذا عن مؤسسيها من العرب الفاتحين، أما قبلهم فكما أورد

ياقوت لم تكن إلا مسلحة للأعاجم ، وعكس ذلك ما يرويه ياقوت نفسه عن الكوفة ، وكونها ذات قصور تدل على سكان حضريين، وأن بعضها كان عاصمة ملك المناذرة :" وأما ظاهر الكوفة فإنها منازل النعمان بن المنذر والحيرة والنجف والخورنق والسدير والغَريّان وما هناك من المتنزهات والديرة الكبيرة"[١٨٤]. فطبيعة المصرين تختلف أرضاً وسكاناً وتاريخاً حضارياً ، حيث إن أهل الكوفة من طبعهم لزوم الطاعة، وقربهم من (الحيرة) عاصمة المناذرة، وقربهم من بلاد الفرس، كل هذا يجعلهم أقرب لمركز السلطان الرسمي المؤسس في دولة، رغم أنه لم تكن هنالك بصرة ولا كوفة في زمان الفرس إذ أنشئت المدينتان في عهد عمر بن الخطاب ، ولكن أقرب الناس إلى كلٍّ سيفدون عليها بلا شك، ويؤثرون على من وفد من جزيرة العرب ، والبصرة أدخل في البادية، ولذلك أقيم بجوارها سوق المربد الذي خلف أسواق العرب القديمة من ذي المجاز وعكاظ وغيرها، وطبيعة أهلها أقرب إلى البداوة، وإلى تحرر العربي من أغلال السلطان مع تقيده الصارم جداً بتقاليده وأعرافه، وتدقيقه في الأنساب، فكأنهم يدقّقون في السماع عن العرب كما يدققون في مراجعة الأصول والأنساب وشدة التحري فيها والتثبت ، وفي أخلاق الناس وطباعهم. وإذا انطلقنا من هذه النقطة إلى تلك الصفحات المطولة التي يوردها علينا "ياقوت" في "معجم البلدان" حين يتحدث عن البصرة والكوفة وما يفخر به كل بلد على الآخر، وما يذم به كل الآخر، يوقن –

١٨٤ الأسماء الواردة أسماء قصور للمناذرة والفرس ورد بعضها في شعر النابغة .

من يطالع ذلك – بأنه كانت هنالك عصبية قوية منشؤها اعتداد كلٍّ بموقع بلده وأصله، ولعل هذا ما جعل البصريين يفتخرون على الكوفيين بقولهم:" نحن نأخذ اللغة من حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع، وانتم تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ"[١٨٥]. ويفخر عليهم الكوفيون بالقراءة والرواية، ويمكن أن يفخروا عليهم بالفقه ومنهم أبوحنيفة النعمان أول الأئمة الأربعة؛ وتبرز كتب الأدب البصرة أضبط ، وأن حماد استطاع ترويج منحوله بالكوفة ، وخلفاً الأحمر لم يستطع ذلك بالبصرة[١٨٦] .

(٢) أسباب الخلاف بين البصريين والكوفيين ومظاهره

لم تقدم لنا كتب التاريخ والطبقات سبقاً للنحو في الكوفة، وإنما أبرزت جهودها متأخرة عن النحو البصري بكثير، بل ومتتلمذة عليه، ولكنها اتفقت على أمر الخلاف، وأنه ظهر منذ زمن، وكما صوره بيت يرويه الأصمعي:

إذا اجتمعوا على ألف وواو (م) وياء ثار بينهم جدال

وهو من شواهد النحويين. وقبله بيت أعشي همدان[١٨٧] الذي يعبر عن خلاف متأصل بين المصرين لا يقف عند حدود النحو في قوله معبراً عن أهل الكوفة:

فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل

١٨٥شوقي ضيف : المدارس النحوية: ص ١٦٠.

١٨٦ شوقي ضيف : الأدب الجاهلي :ص ،

١٨٧ أعشي همدان: من شعراء الشيعة في العصر الإسلامي.

وهنا إشارة لما بين البلدين من وقفات في أمر السياسة، حيث قدم الإمام عليّ من المدينة إلى الكوفة وجعلها له مستقراً، وشايعه أهلها، واتصلت بداية خلافته الفتن التي أدت لمقتل سلفه عثمان بن عفان رضوان الله عليه، فانتقلت المطالبة بدم عثمان على أسنة بعض الصحابة الذين قدموا البصرة وفيهم السيدة عائشة بنت أبي بكر ، فاهتاج الخلاف بين المدينتين وعبر عنه البيت السالف بعد وقعة الجمل في سنة ٣٥هـ، مع طبيعتهما المهيّأة للخلاف من حيث طبيعة الأرض والسكان والتاريخ كما تقدم .

ومضت بذرة الخلاف السياسي هذه لتنبت لها ولداناً تظل تنبت أخريات في عهد بني أمية، يقول الطنطاوي: "جاءت دولة بنى أمية فكان ضلعها مع البصرة التي ظاهرتها، وناصرتها الكوفة على تبرُّم وضيق مستجنين في قلبها بضغط الأمويين عليها، وفي الدولة قسوة وفي رجالها صرامة، ثم قامت الدولة العباسية على أنقاضها، وكان مبدأ ظهورها في الكوفة، فإن أبا العباس السفاح أول خلفائها إنما تمت له البيعة بفضل تشيعها ومظاهرتها للهاشميين، ولقد حفظ العباسيون لها تلك الصنيعة، وعطفوا عليها وكافؤوها، فانقلب الأمر في البلدين، وعزّت الكوفة بعد ذلّ، وأفل نجم البصرة بعد تألّق "[١٨٨] .

وفرع من هذا ما رأى فيه بعض المؤرخين من استكانة للدنيا، وطلب القرب من السلطان والسعي للغض من شأن الآخرين، وإبعادهم عن

١٨٨ محمد الطنطاوي: نشأة النحو: ص ١٢٣.

المنافسة في هذا المجال[١٨٩]، ويرون أن رأس هؤلاء الكسائي الذي عده شوقي ضيف (مؤسساً للمدرسة الكوفية) ، وقد كان مؤدباً لأبناء المهدي[١٩٠] ثم الرشيد وغيرهم من أبناء الخلفاء والوزراء، وكذلك خلفه الفراء الذي كان مؤدباً لأولاد المأمون[١٩١]. وسار على هذا من تبعهم من الكوفيين من ابن قادم[١٩٢] وحتى ثعلب، حيث فسح المجال للبصريين في قصور بني العباس على زمان (المبرد)[١٩٣]. وإن ذكرنا هذا سبباً في الخلاف وافتعاله نجد الشيخ الطنطاوي يراه سبباً في ذيوع المذهب الكوفي وانتشاره وليس فقط في إيجاده[١٩٤]، ولكنا نرى أنه ما كان لينمو وتتسع مسائله بمرور الأيام، ويأخذ له مصطلحات تميزه إن لم يجد انتشاراً وذيوعاً، خاصة وأن أئمته الأوائل أخذوا كلهم عن البصرة، فما كان لهم أن يختلفوا إلا عامدين.

ويدخل في تعمد الخلاف ما تقدم عن أن هذه المناظرات التي كانت تجرى في القصور خلفت ما كان من المتعة والتلذذ للحاضرين بما ساد بيئة العراق الأدبية من نقائض سبقت بروز هذه المناظرات، فكأن مناظرات النحو حلت محل هذه النقائض التي كانت تجمع الناس

---

١٨٩ طلال علامة: تطور النحو العربي: ص ٤٩.

١٩٠ المهدي: هو محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن علي بن عبد الله بن عباس ولد عام ١٢٦هـ وبويع بالخلافة عام ١٥٨هـ وتوفي عام ١٦٩هـ.

١٩١ المأمون: هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ولد سنة ١٧٠هـ وولي الخلافة سنة ١٩٨هـ واظهر القول بخلق القران عام ٢١٢هـ وكانت محنة العلماء في عهده سنة ٢١٨هـ وفيها توفي.

١٩٢ ابن قادم: هو ابو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم اخذ عن الفراء وحذق النحو وتعليله اتصل بالعباسيين فأدب المعتز قبل الخلافة وله مؤلفات منها في النحو الكافي والمختصر توفي ببغداد سنة ٢٥١هـ.

١٩٣ أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين (مواضع متفرقة)

١٩٤ محمد الطنطاوي: نشأة النحو: ص ١٢٣-١٢٤.

للاستمتاع بما قال جرير[١٩٥] في الفرزدق، وكيف صرع هذا الراعي[١٩٦] وقومه، وكيف ناظر ذاك الأخطل[١٩٧] وهكذا ، في طريقه أقرب لعصبية الفرق الرياضية اليوم عند لاعبيها ومشجعيها ، أو فيما يشبه ترويحنا اليوم بالمسابقات والمسرحيات ونحو ذلك .

آراء بعض المعاصرين في أسباب الخلاف النحوي :

قسَّم عباس حسن[١٩٨] في كتابه (اللغة والنحو بين القديم والحديث) أسباب الخلاف إلى أسباب علمية يعددها في القياس والسماع والتعليل ، وأسباب غير علمية جعلها في التعصب المذهبي والسياسة والأحزاب ، وتكاد لا تخرج عن بعضها . وقد رمي الأوائل بالتقصير في ترتيب الأقوال في شأن الخلاف وبسطها، حيث يعرض لتعدد الآراء في ذلك الأمر [١٩٩] ولعله أراد أن يصل لآراء حاسمة في مختلف مسائل النحو تطبيقياً في موسوعته (النحو الوافي)، فجعل للخلاف في كل مسألة نهاية محسومة، مستنداً لكثير من آراء المجمع اللغوي.

ويجمع أسباب الخلاف ما قدمناه من حديث عن طبيعة النشأة واختلاف سبيلها في كل من البلدين، ثم الحرص على التميُّز، وأسباب من صراعات السياسة، ومن المدافعة عند أبواب قصور العباسيين، وذكرنا

---

١٩٥ جرير هو ابو حرزة جرير بن عطية الخطفى الكلبي اليربوعي احد رؤوس الشعر الثلاثة في العصر الاموي كان عذب الشعر حلو الغزل مر الهجاء توفي سنة ١١٠هـ

١٩٦ الراعي:شاعر أموى شارك في النقائض مع جرير والأخطل والفرزدق لكنه سكت عندما قيل فيه :

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا.

١٩٧ الأخطل: هو غياث بن غوث التغلبي النصراني من شعراء البلاط الأموي والنقائض توفي سنة ٩٠هـ.

١٩٨ نحوي مصري معاصر ترأس قسم اللغة والنحو والعروض بدار العلوم بجامعة القاهرة وله اثار منشورة ابرزها موسوعته في النحو "النحو الوافي" وكتابه المذكور بعدُ.

١٩٩ عباس حسن : اللغة والنحو بين القديم والحديث : مواضع متفرقة.

طبيعة نشأة المصرين نفسيهما تاريخياً وموقعهما جغرافياً وعصبية المكان وميول أهلهما وأصولهم.

وقد عدَّ محمد حسين صبرة أسباب الخلاف ثمانية : الاختلاف الطبعي بين الناس، وما جبل عليه الإنسان من حب الغلبة، وتدخل الحكام العباسيين بمناصرة الكوفيين تقريباً ومالاً وجاهاً ، والعصبية للبلد، واختلاف منهج الأخذ عن العرب ، ومتابعة الكوفيين للأخفش في مخالفته سيبويه، ومرونة اللغة العربية بحيث تحتمل تأويلات النحويين وتخريجاتهم على تباينها[٢٠٠].

مشهد من مناظرات الخلاف (المسألة الزنبورية):

بعد أن ارتفع شأن سيبويه في البصرة ، وصار فيها علماً أول له تلامذة كبار بعد وفاة الخليل- اتجه إلى بغداد ، حاضرة الخلافة ومرقى دروب المجد والشهرة ، والتقى هناك بالكسائي- وكان الأخير مؤدباً للأمين بن الرشيد[٢٠١]، الذي قدم إلى بغداد بعد أن عرف من أعلام القراء والنحاة بالكوفة ، بل صار عالمها الأول.

روى أن اللقاء كان في دار يحي البرمكي[٢٠٢]، وقيل بل في دار الرشيد، ويقال أنه لقيه قبل الكسائي بعض أصحابه: الأحمر وهشام والفراء ليوهنوا منه ، ويبدأ الأنباري بمشهد درامي لهذا اللقاء: "إنه في

---

٢٠٠ محمد حسين صبرة : ثمرة الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين :دار غريب /القاهرة/ط١ ٢٠٠١م. : ص٥-١٢.

٢٠١ الأمين بن الرشيد: هو محمد الأمين بن هارون الرشيد .

٢٠٢ البرامكة: هي أسرة فارسية كانت مجوسية ثم أسلمت وتقربت من السفاح والمنصور وبلغت ذروة الغنى والنفوذ أيام الرشيد ثم لأسباب سياسية ودينية قتلهم جميعا بعد سبعة عشر عاماً من ظهورهم. وأبو الفضل يحيى بن خالد من أكابرهم كان وزيرا أدب الرشيد ولازمه قتل في النكبة سنة ١٩٠هـ وجعفر والفضل ابناه.

مجلس يحي بن خالد وعنده ولداه جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم من الأكابر، فأقبل خلف الأحمر على سيبويه قبل حضور الكسائي، فسأله عن مسألة، فأجابه سيبويه، فقال له الأحمر: أخطأت ، ثم سأله عن ثانية فأجابه فيها، فقال له : أخطأت ، ثم سأله عن ثالثة ، فأجابه فيها ، فقال له أخطأت ، فقال له سيبويه : هذا سوء أدب. قال الفراء : فأقبلت عليه وقلت : إن في هذا الرجل عجلة وحدة، ولكن ما تقول في من قال:"هؤلاء أبون، ومررت بأبين" كيف تقول على مثال ذلك من "وأيت"، و"أويت" فقدر فأخطأ، فقلت: أعد النظر، فقدر فأخطأ، فقلت أعد النظر، فقدر فأخطأ ثلاث مرات يجيب ولا يصيب. فلما كثر ذلك عليه قال: لا أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره"[٢٠٣] لكنه قدم إليه، فتعرض له الكسائي بالسؤال:"كيف تقول قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها" فقال سيبويه:"فإذا هو هي، ولا يجوز النصب" قال الكسائي:" لحنت، العرب ترفع ذلك كله وتنصبه" فرفض سيبويه قوله، وطال بينهما الجدال، وكان بالباب نفر من عرب الحطمية النازلين ببغداد ممن ليسوا في درجة عالية من الفصاحة، فطلب الكسائي سؤالهم ولما سئلوا تابعوه في رأيه، فانكسر سيبويه.

ويجعل الرواة لذلك مسرحاً، فيقول أحدهم إن الجمع بين الرجلين كان على قصد من يحي بن خالد البرمكي، في يوم أعلن وجمع له الناس، حتى غصت دار الرشيد بالحضور، وأن البداية كانت بقصد التحدي بأن

---

٢٠٣ الإنصاف: المسألة (٩٩) ص ٧٠٣

قال الكسائي مبتدراً لسيبويه: "تسألني أو أسالك" فقال سيبويه: "بل سل أنت" يذكرنا ذلك بقصة السحرة مع موسي عليه السلام وقولهم "قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى"[٢٠٤] وما فيها من قصد التحدي. ويكملون ما بعد المناظرة بمشهد درامي آخر فيه قول الكسائي ليحيى :"إنه قد جاءك مؤملاً فإن رأيت ألا ترده خائباً . فأمر له بعشرة آلاف درهم" وأن سيبويه"ترك بغداد وتوجه تلقاء فارس يتوارى من الناس من سوء ما لحق به، ولم يقدر أن يعود إلى البصرة، فمات غماً بفارس في ريعان شبابه"[٢٠٥].

هذه المسألة وما حولها من مشاهد تمثل مظهراً من مظاهر الخلاف بين البصرة والكوفة في النحو، في زمن متقدم هو زمان سيبويه والكسائي، وإن كان مبدأ الأمر قبل ذلك كما ذكر من أن (قال الكوفي) في الكتاب تعني أبا جعفر الرؤاسي"[٢٠٦].

تقف هذه المسألة كذلك شاهداً على أن الأمر قد أصبح مذهباً معلوماً لكلٍّ، يجتمع الناس لمناظرته ويحتشدون.

وهناك عبارات في المناظرة لها دلالاتها ، فتأملها ، مثل :

- ومن حضر بحضورهم من الأكابر .
- لقيه قبل الكسائي بعض أصحابه.
- عبارات التحدي : "تسألني أو أسالك".

---

٢٠٤ سورة طه - الآية (٦٥).
٢٠٥ مجالس العلماء للزجاجي، ص ١١
٢٠٦ الفهرست، ص ٨٩.

- رضيهما أهل المصرين (في حديث الكسائي عن المستشهد بهم).
- "إنه قد جاءك مؤملاً فإن رأيت ألا ترده خائباً" . فأمر له بعشرة آلاف درهم.

عناصر الخلاف :

تعرفنا على الخلاف ، وتأكد وجوده ، وعرفت أسبابه ، أما عناصره – والتي تحدد سمات كلٍ من الفريقين – فأظهرها : الاختلاف في المصطلح ، وفي العامل ، وفي التعليل . فأكثر مصطلحات النحو التي نتداولها للبصريين ، ومن مصطلحات الكوفيين التي تبرز تعمدهم الخلاف : الفعل التام لاسم الفاعل ، العماد لضمير الفصل ، حروف الصفات لحروف الجر، ضمير المجهول لضمير الشأن ، المكني والكناية للضمير . وزادوا مصطلحات نحو التقريب لاسم الإشارة السابق لجملة اسمية واعتبروه عاملاً للنصب في خبرها نحو : هذا زيدٌ قائماً .

وعلى ذكر العوامل شاع في كتب النحو أن البصريين يرفعون المبتدأ بعامل معنوي هو الابتداء وأن الكوفيين يقولون بأن المبتدأ والخبر يترافعان ، وأن عامل النصب في المفعول معه الفعل عند البصريين وهو الخلاف عند الكوفيين ، أما في التعليل فقد اختلفوا في تعليل رفع خبر إن ، ونصب المضارع بعد بعض الأدوات فأنكر الكوفيون تقدير (أن) بعد كي وحتى والفاء واللام ، وغير ذلك من خلافات بسطته مؤلفات الخلاف والتي نتعرف على أبرزها .

(٣) مسائل الخلاف وأبرز مؤلفاتها

مما تقدم اتضحت لنا صورة كل من مذهبي الكوفة والبصرة ، أو البصرة والكوفة باعتبار السبق التاريخي والذيوع عبر القرون. وظهر لنا خلال هذا الحديث والمناظرات المحدودة التي أشرنا إليها أبرز أعلام المدرستين، فإذا اعتبرنا الفترة من أبى الأسود الدؤلي إلى الخليل بن احمد فترة تأسيس بصرية، نجد أعلام البصريين الذين قابلوا الكوفيين وناظروهم يبدأون بسيبويه وينتهون بأبي العباس المبرد كما يتفق أكثر أصحاب التراجم، والكوفيون يبدأ تأسيسهم بمعاذ الهراء وخلفه أبى جعفر الرؤاسي، ثم البارزين في الجدال ومبدؤهم الكسائي ومنتهاهم أبو العباس ثعلب، وبين هؤلاء دارت المناظرات التي ألف فيها مؤلفو كتب الخلاف من البغداديين بدءًا بابن كيسان حتى تكامل التأليف واستقام بكتاب أبى البركات الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف).

عدد ابن الأنباري مائة وعشرين وواحدة من المسائل التي اختلفت فيها المدرستان، وتنوعت من مسائل في الاشتقاق تبدأ بأول مسألة فيه (الاختلاف في أصل اشتقاق اسم)[٢٠٧]،ومسائل في جدل العلة مثل الخلاف المشهور في رافع المبتدأ والخبر[٢٠٨]ومسائل في الإعراب والاختلاف في حركاته وحروفه في الأسماء الستة[٢٠٩]والمثنى وجمع المذكر

٢٠٧الانباري: الانصاف المسألة ١ ص ٦.
٢٠٨الانباري: الانصاف المسألة٥ ص ٤٤.
٢٠٩ نفسه، المسألة ٢ ص ١٧

السالم[٢١٠] ومسائل في عمل الأدوات مثل القول في عمل إن المخففة النصب في الاسم[٢١١]، وأخرى في التقديم والتأخير كما في الخلاف في تقديم خبر ليس عليها من جوازه وعدمه[٢١٢] وغير ذلك من أنواع المسائل.

وفيه استعراض لبعض المناظرات كما في استعراض المسألة الزنبورية المتقدم ذكرها ،وهذه واحدة من طرق العرض فيه أن يأتي بالمناظرة كما جرت بين علمين من أعلام المدرستين، ثم يعقب بتحليل حجج كلٍ، ويقيم من ذلك ترجيحاً لبعض الحجج على الأخرى، فهو يرجح حجج البصريين تارة[٢١٣] ، وحجج الكوفيين تارة أخرى[٢١٤] وصياغة الحجج في أكثر الأحوال تكون من عنده، وإلى هذا أشار الزجاجي في (الإيضاح) بقوله:"وإنما تذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين على حسب ما سمعنا مما يحتج به عنهم من ينصر مذهبهم من المتأخرين، وعلى حسب ما في كتبهم، إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم والمعنى واحد، لأنا لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير زيادة في الفائدة ، بل لعل أكثر ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم"[٢١٥]، وإذا كان ما ذكره الزجاجي قد خص به المدرسة الكوفية من حيث إيراد الحجج ، إلا أن المتصفح لكتاب الأنباري يجد صياغة متوسعة لحجج

---

٢١٠ نفسه، المسألة ٣ ص ٣٣
٢١١م. س.المسألة ٢٤ ص ١٩٥
٢١٢ م. س. المسألة١٨ ص ١٥٩
٢١٣ كما في المسألة (١) ص ٦ ومائة واحدي عشرة مسالة اخرى.
٢١٤ .وهن سبع مسائل بالارقام: ١٠،١٨،٢٦،٧٠،٩٧،١٠١،١٠٦
٢١٥ الزجاجي: الايضاح في علل النحو ص ١١٣

البصريين كذلك ، بل وانتصاراً لها في أكثر مسائل الكتاب ، على الرغم من كونه ألفه ككتاب معين في تدريس النحو بالمدرسة النظامية ببغداد استجابة لسؤال "المشتغلين عليه بعلم العربية"كما يقول في مقدمته وأنه يتوخى الحيدة كما قال : " وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق ، واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف لا التعسف والإسراف ، مستجيراً بالله ، مستخيراً له فيما قصدت إليه"[٢١٦].

ويورد الشيخ محمد الطنطاوي أن ثعلب (ت ٢٩١هـ) أول من ألف في ذلك الاختلاف ، ويوافق هذا ما ذكره ابن النديم من كتب عرضها لمن خلطوا المذهبين فذكر منها كتاب (اختلاف النحويين) لثعلب ، وكتاب المسائل علي مذهب النحويين فيما اختلف فيه الكوفيون والبصريون ، وذكر كتاب (الاختلاف) للمبرد ، ثم يذكر لنا شوقي ضيف كتاب النحاس قائلاً: " وبلغنا بين مصنفاته التي روتها له كتب التراجم كتاب (المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين) مما يدل دلالة واضحة على أنه عني باستيعاب آراء المدرستين عناية جعلته يخصهما بالتأليف ويذكر محمد الطنطاوي بعد كتابه أن ابن درستويه ألف كتاب الرد علي ثعلب في اختلاف النحويين ، ثم يعقب قائلاً: " وهذه الكتب لم نطلع عليها حتى نقدر ما فيها من خبرة "[٢١٧]فهذه إذن خمسة كتب

٢١٦الأنباري : الإنصاف : المقدمة.
٢١٧ الطنطاوي : نشأة النحو : ص١٥٥.

للمتقدمين في هذا المجال قبل كتاب الأنباري ، أما ما تلاه من تأليف في الخلاف فما انتشر انتشاره ولا عرف إلا عبر غيره كما كتاب العكبري[٢١٨] أو ابن إياز.

٤) نتائج الخلاف بين المدارس النحوية

نتج عن الخلاف بين البصرة والكوفة و من تبعهم من بعد من النحاة نتائج أثرت في النحو العربي ودراسته وتدريسه ، وقد عدد محمد حسين صبرة عشرين نتيجة سماها ثمرات الخلاف، ويمكن ملاحظتها في الجدول التالي[٢١٩] :

الثمار الطيبة		الثمار السيئة	
١	اكتمال صرح النحو والصرف	١	تغيير الروايات وكثرتها
٢	تخريج نحاة آخرين	٢	كثرة الآراء
٣	تيسير النحو	٣	كثرة التقدير والتخريج
٤	توسيع القواعد	٤	التوسع في الإجازة
٥	زيادة بعض التراكيب	٥	المبالغة في الصناعة
٦	زيادة بعض الأدوات	٦	تضخم كتب النحو
٧	زيادة وجوه إعرابية	٧	صعوبة النحو
٨	تدريب الطلاب	٨	البلبلة

---

٢١٨ العكبري : هو أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسين ، أصله من عُكبَرا علي نهر دجلة ، ولد ببغداد وتلقي عن أبن الخشاب وغيره ، شرح الإيضاح والمفصل وديوان المتنبي وأعرب القرآن توفي سنة ٦١٦ هـ وله في مسائل الخلاف كتابان : التبيين ، ومسائل خلافية .

٢١٩ انظر في تفاصيلها :محمد حسين صبرة: ثمرات الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ص١٣-٨١.

[redacted]	٩	عدم الأخذ بالقراءات
	١٠	التحامل على فريق لصالح الآخر
	١١	تغيير بعض المصطلحات
	١٢	غبن العلماء

نقاش:

- فيم توافق د. صبرة وفيم تخالفه من النتائج التي ذكرها للخلاف ؟
- ما الذي تراه طيباً فيما ذكر سوءه ، وما تراه سيئاً فيما ذكر طيبه ؟
- ما الذي يمكن إضافته على ما عدده من نتائج ؟

(٥) انتقال النحو لبغداد وانتشاره في البلدان

يقول عبد الهادي الفضلي في كتابه (مراكز الدراسات النحوية) عن بدء مركز بغداد النحوي: "كان للحظوة التي نالها الكسائي لدى الخلفاء العباسيين العامل القوى في التفاف العلماء والطلاب حوله، وتزاحم الركاب بين يديه حتى ثنيت له الوسادة لنشر النحو الكوفيّ ببغداد"[٢٢٠] ومما يكمل قوله رواية ابن النديم في ترجمة الكسائي:" قرأت بخط أبي الطيب قال: أشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه ، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه، فقبل رؤوسهما وأيديهما ثم أقسم عليهما ألا يعاودا، فلما جلس الرشيد مجلسه قال: أي الناس أكرم خادماً؟ قالوا: أمير المؤمنين أعزه الله، قال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون"[٢٢١]، ويكمل الفضلي حديثه السابق

٢٢٠ عبد الهادي الفضلي : مراكز الدراسات النحوية : ٤٧- ٤٨.
٢٢١ ابن النديم : الفهرست: ص ٩٠

بقوله:" وكان هذا – حظوة الكسائي – مما آثار حفيظة نحاة البصرة، ودعا الأخفش الناحي البصري رفيق سيبويه أن يشد الرحال إلى بغداد، ويلقى عصا الترحال فيها ويقوم بدور نشر النحو البصري منافساً للنحو الكوفي"[٢٢٢] بل أكثر من ذلك أن الكسائي اتخذه مؤدباً لأولاده كما يروى السيوطي[٢٢٣] بعد أن جادله في مائة مسألة ، يسأله ثم يقول له: أخطأت، ذلك بعد مقابلته أستاذه سيبويه يخرج مكسوراً بعد المسألة الزنبورية إلى فارس. و الأخفش هو العلم الأهم في نقل النحو البصري، إذ عنه أخذ كتاب سيبويه، وهو القائل فيه : ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه عليَّ، وكان يرى أنه أعلم به مني، وأنا اليوم أعلم به منه"[٢٢٤] . وقول القفطي:" إن كتاب سيبويه لا يُعلَمُ أحدٌ قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه، ولكن لما مات قرئ على الأخفش فشرحه وبينه"[٢٢٥]. المهم أن الأخفش بقى العلَم الأهم بعد سيبويه في البصريين، والكسائيّ هو العلم الأهم في الكوفيين باتفاق أصحاب التراجم، وكلاهما صار ببغداد، فأصبحت بغداد إذن قبلة للنحوَين الكوفي والبصري، وتطورا فيهما كل على حدة ثم تلاقحا، وتدارسهما العلماء، وبدأ التعصب يزول رويداً رويداً حتى نصل إلى تلاميذ ثعلب الذين يرسلهم – وفيهم الزجّاج – ليفضوا مجلس المبرد رأس البصريين في زمانه، فيروى الزجاجي القصة في

---

٢٢٢ الفضلي: م س ص ٤٨
٢٢٣ السيوطي: بغية الوعاة: ٥٩٠/١.
٢٢٤ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٦٠/٢.
٢٢٥ القفطي: انباه الرواة :٣٦/٢ .

مجالس العلماء بأن الأمر انتهى بانتقال الزجاج من النحو الكوفي إلى البصري، حيث حاجّه المبرد في أربع عشرة مسألة يجيبه فيها بجواب ثم يوهن هذا الجواب ويقيم الحجج على وهنه، ويأتي بجواب آخر، ثم يرجعه إلى تصحيح القول الأول، فلما رأى ذلك إبراهيم بن السري (الزجاج) قال لأصحابه:" عودوا إلى الشيخ (يعنى ثعلب) فلست مفارقاً هذا الرجل ولابد لي من ملازمته"[٢٢٦]. وظهر ذلك الخلط بين المذهبين في المؤلفات التي أظهرها تلميذه الزجاجيّ، وعرفنا سابقاً كتابه (الإيضاح في علل النحو) ، وكتابه (الجمل).

وهكذا تحول الأمر بدلاً عن الأخذ من منبع واحد بصري أو كوفي إلى الأخذ عن كلٍ و(خلط المذهبين) كما سماه ابن النديم أو التلفيق كما سماه عبد الله الطيب رحمه الله ، وظهور مدرسة جديدة في النحو هي المدرسة البغدادية.

اتسع الأخذ من المنبعين البصري والكوفي في القرن الرابع في بغداد، وهيأ له ما تقدم ذكره من تتلمذ النحاة في أوائل هذا القرن على أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٧٦هـ)، وأبى العباس أحمد بن يحي ثعلب (ت ٢٩١هـ)، "وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما، ويعنى بالتعمق في مصنفات أصحابهما والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير إلى من الآراء النحوية الجديدة"[٢٢٧].

---

٢٢٦ الزجاجي: مجالس العلماء: المجلس ٧٦ ص ١٦٤- ١٦٧.
٢٢٧شوقي ضيف: المدارس النحوية: ٢٤٥

وهذان هما أبرز مظهرين نتبين من خلالهما جدة هذه المدرسة، واتخاذها موقعها باطمئنان بين المدارس النحوية، وهما عنصرا الانتخاب من المدرستين، والخروج بآراء جديدة.

ويؤكد الأستاذ محمد حسن محمد طه[٢٢٨] على بروز المذهب البغدادي وتميزه في مقابل من ينكرونه بإيراد آراء لثمانية وخمسين عالماً يؤكدون وجود هذا المذهب الذي التفَّ حوله علماء كثيرون فصار مدرسة نحوية، وذكر من هؤلاء المؤكدين اثني عشر عالماً من الأوائل، وستة وأربعين من المتأخرين ، ولخص في بحثه تميُّز الدراسة النحوية في بغداد بثلاثة أمور:

الأول: بسط الآراء واختيار الأفضل منها.

الثاني: المزج بين الآراء والخروج برأي موحد يجمع بين مزايا الآراء كلها.

الثالث: فتح باب الاجتهاد بحسب ما تسمح ظروف الدراسة والقدرات العقلية للباحث"[٢٢٩].

واتجه النحو في بغداد ثلاثة اتجاهات :

---

٢٢٨ محمد حسن محمد طه: نحوي سوداني نال درجة (الدكتوراه) من جامعة القرآن بام درمان سنة ١٩٨٧م ، وعمل استاذا بكلية اللغة العربية بها .

٢٢٩ محمد حسن محمد طه: المذهب البغدادي في النحو العربي رسالة اه باشراف د. أحمد خالد بابكر /ج.القرآن ١٩٩٧ ص ١١٩.

• اتجاه الميل إلى الكوفيين: وكان هذا هو الاتجاه الأول، إذ كان لحظوة الكسائي ومن تبعه من الكوفيين في بلاط العباسيين أثر في نشر مذهبهم أولاً في بغداد.

• اتجاه الميل إلى البصريين: وهو الاتجاه الذي طغى في النصف الأخير من القرن الرابع ، وتناصر عليه جماعة من النحاة منهم الزجاج والسيرافي، ثم علمهم الأكبر أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني.

• اتجاه الخلط بين المذهبين: وأهم من فيه جماعة يتقدمهم الزجاجي بآثاره التي نأخذ منها أهم آثار النحو البغدادي اليوم[٢٣٠].

ومما تطور في بغداد تطوراً كبيراً كما ذكرنا التأليف في الخلاف، وقد ذكرنا نقل احتجاجات الكوفيين على أيدي البغداديين ورواية حجج الفراء وثعلب في ذلك ، فهم قد نقلوها وتلطفوا في بيانها[٢٣١]. ولم يكتف البغداديون بنقل حجج الكوفيين والبصريين و(التلطف في بيانها) ، بل كانت له مسائلهم التي انفردوا بها ، وهذا من مظاهر التطور والتجديد لديهم ، وقد عددها باحثنا محمد حسن محمد طه وأعد لها جدولاً قيماً وضح فيه ما وافقوا فيه البصريين وما خالفوهم فيه، وما وافقوا فيه الكوفيين وما خالفوهم فيه، وما اختلفوا فيه معهما معاً من مسائل، ووجد أنهم كانوا أكثر خلافاً للبصريين (خالفوهم في تسع وأربعين مسألة)، وأكثر موافقة للكوفيين حيث وافقوهم في ثمانٍ وعشرين مسألة مقارنة

---

٢٣٠ ابن النديم : الفهرست، شوقي ضيف: المدارس النحوية، محمد الطنطاوي : نشأة النحو ، محمد حسن محمد طه : المذهب البغدادي .

٢٣١شوقي ضيف: المدارس النحوية ص ٢٤٧

بإحدى عشرة مسألةً وافقوا فيها البصريين، بينما كانت لهم ابتكاراتهم[٢٣٢]، فإذا أخذنا ابن كيسان مثلاً، وهو من أوائل البغداديين، نجده أجاز تذكير الفعل مع المبتدأ المؤنث مثل (الشمس طلع) وتذكير الفعل مع الفاعل المؤنث مثل (قال فلانة) لسماعها عن العرب، وقوله في علة بناء (أمسِ) أنها تضمنت معنى الفعل الماضي وهو مبني ، وقال الجميع ببنائها لتضمنها معنى لام التعريف ، وقوله بإعراب (غد) لأنها في معنى الفعل المستقبل ، وهو معرب[٢٣٣]. وتجد آراء أخرى مع الفارسي، وابن جنى، وغيرهما[٢٣٤].

كذلك مما جد في النحو البغدادي تقعيد أصول النحو، والتأليف فيها. يقول محمد حسن محمد طه: "إن علم أصول النحو علم بغدادي ، وشروط السماع فيه شروط بغدادية هي التي في رؤية ابن جنى الواردة في الخصائص"[٢٣٥] . وأصول النحو لم تقف عند إيراد شروط السماع، بل قعّدوا القياس، وألفوا في العلل، وتحدثوا عن القراءات الشاذة ومراتبها، وعن الاحتجاج بالحديث وشعر المولدين.

أما الأمر الآخر في التجديد ففصل الصرف عن النحو، وإفراده بتآليف خاصة سواء في التبويب كما فعل ابن قتيبة في "عيون الأخبار"، أو بمؤلف كامل كما في تصريف المازني، ومنصف ابن جني في شرحه

---

٢٣٢ محمد حسن محمد طه: المذهب البغدادى: ص ٣٢٢

٢٣٣طلال علامة: تطور النحو العربى فى مدرستى البصرة والكوفة: ص ٢١٩

٢٣٤ومن المسائل التى خالفوا فيها المدرستين كذلك قول الزجاجى بأن كان وأخواتها حروف، وقول ابن جنى فى المضاف لياء المتكلم بكونه لا معرب ولا مبنى!

٢٣٥ محمد حسن محمد طه: المذهب البغدادى: ص١٦٣، والشروط التي ذكرها في الجزء الثالث من (الخصائص).

. والتصريف بوصفه علماً مستقلاً تأخر عن النحو في ظهوره وفي تقعيده ، فأول الأبواب النحوية التي ظهرت كما في تعليقة أبي الأسود الدؤلي أو حواره مع الإمام علي تخلو من أية قضية صرفية ، كما خلت الروايات عن أخطاء الناس الأولى ولحنهم من المسائل الصرفية[٢٣٦] ولعل أول إشارة لحديث في الصرف ما أورده أبو الطيب اللغوي في ترجمته لابن أبي اسحق الحضرمي بقوله : "وتكلم في الهمز حتى عمل فيه كتاباً مما أملاه"[٢٣٧]، وابن أبي اسحق (ت١١٧هـ) اشتهر بالقياس، والتصريف في جملته مبني على القياس. ويقرب من الحديث عنه ما ذكر عن معاذ الهرّاء من الكوفيين وكونه مبتدع علم التصريف، وما اشتهر في مسألة تؤزهم أزاً ، و"إذا الموءودة سئلت " و صوغ " يا فاعل افعل" منها[٢٣٨]، وما أورده ابن النديم عن سلفه أبي جعفر الرؤاسي ووضعه كتباً منها (الفيصل) و(التصغير)[٢٣٩]، والإشارة بهما إلى أن الكوفة واضعة علم الصرف إلا أن تقعيده لم يصلنا إلا عن طريق البغداديين.

وأول قول ذي بال في التصريف يصل إلى زماننا كتاب (التصريف) لأبى عثمان المازني الذي لم يعرف وينشر دون شرح ابن جنى المعروف باسم (المنصف في شرح تصريف المازني)، وابن جنى بغدادي (ت ٣٩٢هـ) . و أورد ناشرا المنصف فيه : "إن كتاب المازني

٢٣٦طلال علامة: تطور النحو: ص٤٢ و غيرها
٢٣٧ أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين: ص١٢
٢٣٨رواها أصحاب التراجم: الزبيدي ص١٣٥ ،الانباري ص ٥٠، السيوطي ٢ /٢٩
٢٣٩ابن النديم: الفهرست ص ٨٩

من علم التصريف ككتاب سيبويه من علم النحو، في أن كلاً منهما أصل في علمه، هذا في النحو وذاك في التصريف"[٢٤٠]، ولعل هذا القول لا يصدق تماماً ، فسيبويه وأستاذه الخليل كما تقدم قد سبقا إلى وضع أسس هذا العلم ولكن دون أن يفصلاه عن النحو، وأبو عثمان قد قرأ كتاب سيبويه على الأخفش، وأقرأه لمن بعده وأبرزهم المبرّد. وقيمة كتاب المازني تعاظمت واستفاد الناس منه غاية الإفادة بعد شرح ابن جنى له ، الذي وصفه الأنباري بقوله: "ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، فإنه لم يصنف أحد في التصريف ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاماً منه"[٢٤١] . وهذا حق ، فابن جني البغدادي نشر علم الصرف وشرحه بعد أن كتبه المازني البصري أول الأمر، كما نقل عن أبى علي الفارسي باب الاشتقاق الأكبر، والذي يجريه على طريقة حساب التباديل بتقليب الكلمة الثلاثية مثلاً إلى تبديلاتها الست، ويجد لها رابطاً معنوياً مثل (رجب، جبر، ربج، جرب، بجر، برج) بعد أن يخرج منها ما لا يستعمل[٢٤٢] ، وتكثر مسائل التصريف التي ذكرها الفارسي عند ابن جنّي. كما نجد كذلك معاصر ابن جني أحمد بن فارس[٢٤٣] صاحب (مقاييس اللغة) ينتج كتابه في (الإتباع والمزاوجة) وفيه من التصريف ما فيه.

٢٤٠يعقوب السيد بكر / نصوص فى النحو العربى/ ص ١٢٨

٢٤١الأنبارى: نزهة الألباء : ص ٣٣٢.

٢٤٢ابن جني الخصائص:٢ /١٣٥ ـ١٣٩.

٢٤٣ابن فارس: هو احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي من ائمة اللغة والادب قرا عليه البديع الهمذاني والصاحب بن عباد وغيرهما. من تصانيفه معجم مقاييس اللغة والمجمل والصاحبي وغيرها، توفي سنة ٣٩٥هـ

أما النحو في غير بغداد فقد ترسم خطى النحو البغدادي خاصة بعد القرن الرابع الهجريّ ، وقد وضع عبد الهادي الفضلي هذا المخطط لانتشار النحو في البلدان ، موضحاً انتقاله من البصرة للمدينة ومكة ثم للكوفة ، ومنها ومن البصرة لبغداد ، ومن بغداد للأندلس ومصر والشام والهند.

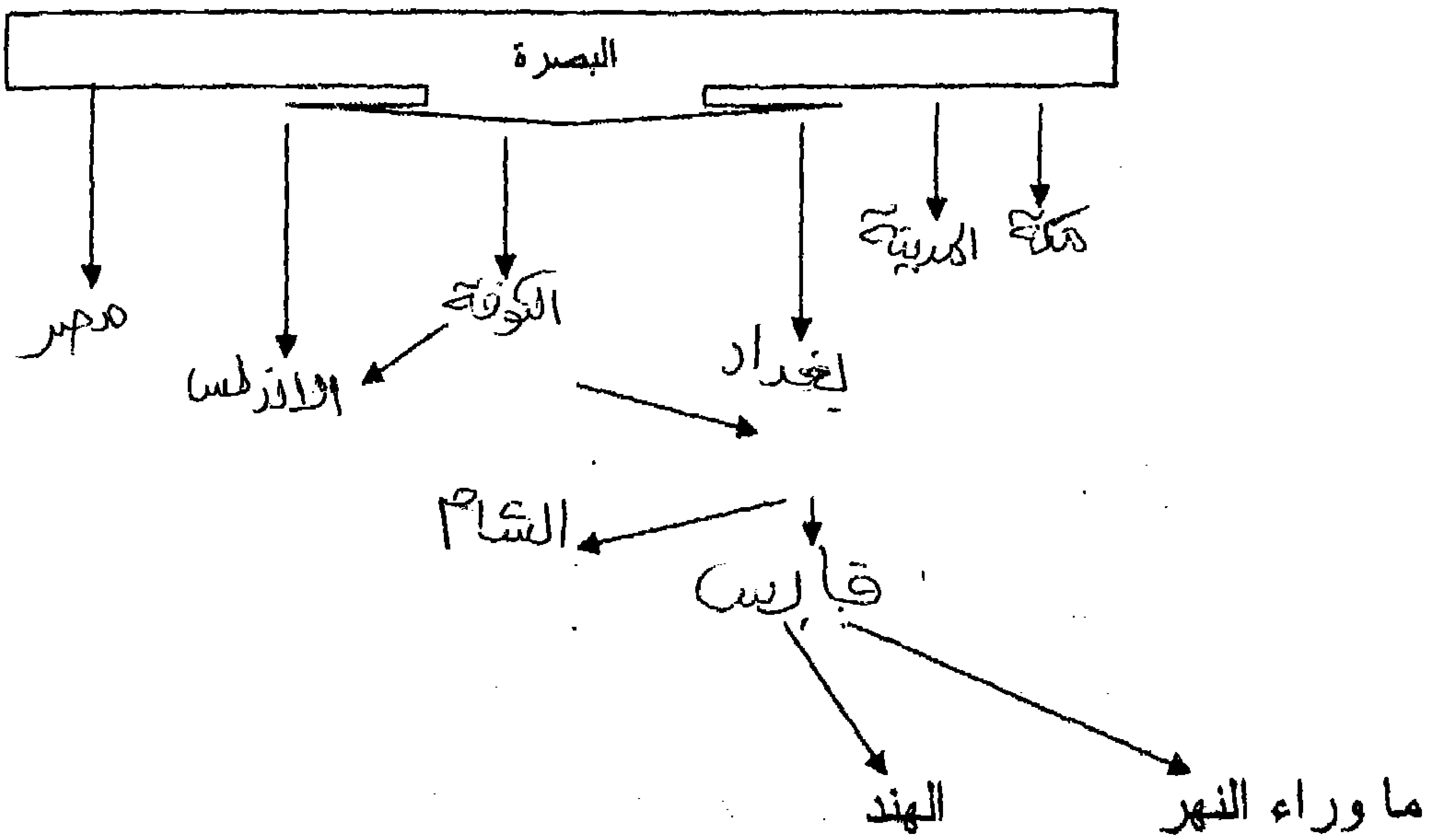

<u>(المخطط عن : الفضلي : مراكز الدراسات النحوية : ص٨٧)</u>

ومن علماء هذه البلدان :

بغداد:

الزجاج – ابن السراج – الزجاجي – ابن كيسان – الأخفش الصغير – نفطويه – السيرافي – ابن خالويه – الفارسي – الرماني – ابن جني – الزمخشري – الأنباري.

مصر:

أبو جعفر النحاس – ابن بابشاذ – ابن معطي – ابن يعيش – ابن الحاجب – ابن هشام – أبو حيان – الشاطبي – ابن عقيل .

الأندلس:

الزبيدي – الأعلم الشنتمري – ابن السيد البطليوسي – السهيلي – ابن مضاء – ابن خروف – الشلوبيني- ابن مالك .

ما وراء النهر:

الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ) – الجامي (ت ٨٩٨هـ).

خاتمة

رسخ النحو العربي وانتظمت أبوابه ومسائله بعد مسيرة اشترك فيها علماء كثيرون، كان دافعهم دينياً ثم اجتماعياً في تأسيسه، ثم أوجدت الحاجة العلمية وأثر العلوم الأخري مجالات له أرحب . وكانت البداية بلقاء أبي الأسود الدؤلي بأئمة عصره وبدء أوائل الأبواب والمسائل في أنواع الكلم وأبواب أخرى ، وابتداع أبي الأسود (نقط الإعراب) ، وابتداع تلاميذه (نقط الإعجام) مع استمرارهم في تقويم اللحون ، وأظهر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي القياس والتعليل ، وامتدّ فيهما عيسي بن عمر وأبي عمرو بن العلاء وظهر معهما القول باللغات والشاذ ، وسار علي نهجهما من تلاهما حتى جاء الخليل باستكمال أبواب النحو، وابتداع الشكل مكان نقط الإعراب، وابتداع حروف الميزان الصرفيّ ، والقول بالعوامل والمعمولات ، وتدوين سيبويه بعده لعلم النحو كاملاً مع تقسيم الأبواب وجمع المصطلحات والقواعد مع استكمالها ، وتطبيق نظرية العامل في كتاب (الكتاب)، الذي حوي علم النحو وفصّله وضمّ معه ما يربطه بعلوم اللغة العربية، مما جعله كتاباً جامعاً لم يستطع النحاة الخروج عن قواعده، ولا زادوا عليه شيئاً كثيراً ثلاثة عشر قرناً حتى يومنا .

كان هذا ما بيّنه هذا المختصر في قسمه الأول ، أما قسمه الثاني فقد شرح أصول النحو بأنها أدلته الكلية التي يستدل بها وكيفية الاستدلال وحال المستدلّ ، وأنها أخذت من أصول الفقه لأن النحو كالفقه معقول من منقول ، وبدأ التأليف فيه بسيطاً عند ابن السراج ومن سبقوه ، حتى جاء ابن جني ذو الأصل اليوناني ، ففصّل في أنواع الأدلة مقدماً النقل والاحتجاج للنحو بالقرآن وقراءاته متواترها وشاذها،مؤكدا علي حجية شاذها باحتجاجه له في (المحتسب) كما أن لغات العرب عنده كلها حجة ، مميزاً الأخذ

عن البادية على المدن . ولم يروَ عن النحاة الأولون الاحتجاج بالحديث النبوي، وعلل أبو حيان لامتناعهم عنه بالوضع والنقل بالمعني ، وعلي سبيله نهج الأنباري والسيوطي، وذكر الأنباري في (لمع الأدلة) بعد النقل القياس كما فعل ابن جني ، ولم يتبعه في ذكر الإجماع ، وزاد عليه بذكر (الاستصحاب) ، وجمعهما السيوطي في (الاقتراح) وزاد تفصيل العلل، وتعارض الأدلة . وكان البيان في ذكر الأصول بقدر الحاجة إليه في فهم ما يذكر عنه في الخلاف بين النحاة.

وقد جاء القسم الثالث بذكر مذهبي الكوفة والبصرة ، وكيف نشأ النحو بالكوفة ، وما كان بين البصرة والكوفة من تنافس واختلاف في عدة أمور ، منها : اختلاف طبيعة الأرض التي تؤثر في طباع الناس كما قال ابن خلدون ، فتميز نحاة الكوفة عامدين بنهج ومصطلح وآراء – على قلتها – إلا أنها كانت كافية لتبرز الخلاف ، الذي دعا للحديث عن أسبابه ومظاهره ونتائجه في هذا الفصل ، حتي اجتمع الفريقان في بغداد ، فجمع نحاتهما بين المذهبين وزادوا عليهما بآرائهم ، وخصوا الصرف بمؤلفات ونشروا نحواً خلط بين المذهبين كما وصفه ابن النديم أو (لفق) منها كما وصفه عبد الله الطيب . وبلغ النحو مصر والأندلس والشام وما وراء النهر والهند والمغرب وبلاد الروم حتي ملأ الدنيا في زماننا ولا يخلو بلد في العالم من دراسة للنحو العربيّ ، ومن نتائج هذه الدراسات:

١. دراسة نشأة النحو الاولي وتطوره تعيد الناس للفهم السليم للنحو ، وتعيد إليه ما نقص منه ، وتهيئ تبسيط ما تعقّد ، مع ارتباط العلم بالعمل في النحو .
٢. ربط النحاة الأولون علمهم بالعربية بالقرآن الكريم فعنوا بضبطه وحسن كتابته وقراءته ، وفهم معانيه .
٣. عمل النحاة الأولون علي إكساب (الملكة) لا تحفيظ القواعد ، فابتدعوا التطبيق علي النصوص والتمرينات والاحتجاج للآراء المختلفة.

٤. تعين معرفة الأصول وطرق الاستدلال بما علي تعميق الفهم للقواعد ، والوجوه المتعددة في بعضها ، مما يبين سعة هذه اللغة، وقبول الخلافات.

٥. التاكيد علي وجود خلاف نحوي ، وكثرة العلماء القائلين به ، وإن كان في غالب جوانبه في الفروع ، وهو يتخذ جانباً مظهرياً تنافسياً أحياناً ، مع إثبات وجود مذهب بغدادي تميز عن نهج الكوفيين والبصريين ، وقد غلب علي مناهج التأليف والندريس في النحو منذ أول القرن الرابع الهجري إلى يومنا.

وإن كان لابد من كلمة وتوصية قبل الختام فهي : دراسة ما جدده بعض العلماء وطوروه وعدلوه أحياناً في أصول النحو العربي خلال القرن الأخير ، منذ كتب إبراهيم مصطفي إحياء النحو حتي ما كتب مؤخراً عن : (نظرية النحو العربي)، و(ضوابط النحو العربي ومناهجه)، وما كتب عن العامل ، وعن منهجية تيسير النحو ، وأن يزيد اهتمام المختصين بالنظر في محتوى مجادلات النحاة ومناظراتهم ، مما يزيد من القدرة في النحو واستكشاف دقائق تقود الي ما ننشده من تيسير لهذا العلم وبيان سعته .

المصادر والمراجع

١. إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع / دار الفكر / عمان / ط١ ١٩٨٧م.

٢. إبراهيم مصطفى : إحياء النحو / لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / ط٢ ١٩٩٢م .

٣. ابن السراج (أبو بكر أحمد بن سهل ت٣١٦هـ) الأصول (تحقيق عبد الحسين الفتلي) مؤسسة الرسالة / بيروت / ط١ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٤. ابن النديم (أبو الفرج محمود بن إسحق ت بعد ٣٧٧هـ) : الفهرست / دار الفكر / بيروت / ط٢ ١٩٩٧م.

٥. ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني ت٣٩٢هـ):المنصف في شرح تصريف المازني (تحقيق:إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين) مكتبة مصطفى البابي الحلبي/مصر ١ـــ ١٩٥٤م.

٦. ابن جني : الخصائص (بتحقيق محمد علي النجار) / دار الكتب العلمية / القاهرة / ط١ ١٩٦٦م

٧. ابن خلدون : المقدمة / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت / د.ط /د.ت.

٨. ابن خلكان(شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان(بتحقيق: إحسان عباس) دار الثقافة / بيروت / ط١ ١٩٦٩م

٩. ابن مضاء القرطبي (أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ت٥٩٢هـ) الرد على النحاة (بتحقيق شوقي ضيف) دار المعارف /مصر/ط٣ ١٩٨٨م

١٠. ابن مضاء القرطبي (أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ت٥٩٢هـ) الرد على النحاة (بتحقيق محمد إبراهيم البنا) دار الإعتصام / القاهرة / ط١ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

١١. ابن منظور : لسان العرب .http://www.lesanarab.com .

١٢. ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)/ دار الطلائع / القاهرة / ط٤ ٢٠٠٤م.

١٣. أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بتعليق : محمد زينهم محمد عز العرب) / دار الآفاق الجديدة / مصر / ط١ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م

١٤. أبو القاسم الزجاجي : مجالس العلماء (بتحقيق عبد السلام هارون) .

١٥. أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح : (بتحقيق مازن المبارك) / القاهرة / ١٩٥٩م.

١٦. أبو القاسم الزجاجي : أمالي الزجاجي (بتحقيق عبد السلام هارون) / دار الجيل / بيروت /ط٢ ١٩٨٧.

١٧. أبو علي الفارسي : التكملة (بتحقيق كاظم بحر المرجان) جامعة الموصل / العراق / د.ط ١٩٨١م

١٨. أبوزيد محمد بن الخطاب القرشي : جمهرة أشعار العرب (بتحقيق علي محمد البجاوي) الهيئة القومية للكتب / القاهرة / د.ط / د.ت.

١٩. أبوسعيد السيرافي : أخبار النحويين البصريين(تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي) مطبعة البابي الحلبي / القاهرة / ط١ ١٩٧٤م.

٢٠. أحمد خالد بابكر : مدرسة الكوفة النحوية وموقفها من القراءات / مجلة جامعة القرآن الكريم / العدد الثاني/ صفر ١٤١٧هـ .

٢١. الأصفهاني : الأغاني (بإشراف عبدالله العلايلي وآخرين) / دار الثقافة / بيروت / ط٣ ١٩٦٢م.

٢٢. أصيل الصيف الأصولي (أحمد بن محمد أمين بن أحمد هزايمة) : الإِجَابَةُ فِي أُصُولِ فِقْهِ النَّحْوِ / مكتبة الرافدين إربد / جامعة اليرموك / البوابة الشمالية .

٢٣. الأنبارى : نزهة الألباء (بتحقيق إبراهيم السامرائي) / مكتبة المنار / الأردن / ط٢ ١٩٨٥م.

٢٤. الأنباري (أبوالبركات عبد الرحمن بن محمد ت٥٧٧هـ):الإنصاف في مسائل الخلاف(تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد) المكتبة العصرية / بيروت / ط١ ١٩٩٧م.

٢٥. الأنباري : لمع الأدلة في أصول النحو (تحقيق سعيد الأفغاني) دار الرسالة / دمشق / ط١ ١٩٥٧م.

٢٦. الجاحظ : البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) / دار الفكر / بيروت / ط١ ١٩٦٨م.

٢٧. خديجة الحديثي : المدارس النحوية / إربد / دار الأمل / ط٣ ٢٠٠١م .

٢٨. ريمون طحان، دينيز بيطار طحان : فنون التقعيد وعلوم الألسنية / دار الكتاب اللبناني/ بيروت /د. ت.

٢٩. الزبيدي (أبوبكر محمد بن الحسن ت٣٦٨هـ) : طبقات النحويين واللغويين (بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم) دار المعارف/ مصر /ط٢ ١٩٨٤م .

٣٠. الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين (بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم/ دار المعارف / مصر / ط٢ ١٩٨٤م

٣١. الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٣٨ هـ) الإيضاح فى علل النحو (بتحقيق مازن المبارك) دار النفائس/ بيروت / ط٢ ١٣٩٣هـ .

٣٢. سعيد الأفغاني : في أصول النحو / مطبعة جامعة دمشق / دمشق / ط٣ ١٩٦٤م

٣٣. سعيد الأفغاني : من تاريخ النحو / دار الفكر / دمشق / د.ط / د.ت.

٣٤. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ) الكتاب (تحقيق : عبد السلام محمد هارون) دارالجيل / بيروت / ط١ ١٩٦٦م.

٣٥. السيد يعقوب بكر: نصوص فى النحو العربى / دار النهضة العربية بيروت / ط١ ١٩٨٤م.

٣٦. السيوطي : الأشباه والنظائر (تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي) / المكتبة العصرية / بيروت / ٢٠٠٦م

٣٧. السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) مكتبة الحلبي / القاهرة / ط٢ ١٩٦٤م.

٣٨. السيوطي : الاقتراح في أصول النحو وجدله(بتحقيق:محمود فجال) / السعودية / ط١ ١٩٨٩م.

٣٩. شوقي ضيف : الأدب الجاهلي : دار المعارف / مصر/ ط١ ١٩٦١م.

٤٠. الطبري : تاريخ الرسل والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) / دار المعارف / مصر/ ط٢ ١٩٦٨م.

٤١. طلال علامة : الطبقة والنحو / دار الفكر اللبناني / بيروت / ط١ ١٩٩٢.

٤٢. طلال علامة : نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة / دار الفكر اللبناني/بيروت/ ط١ ١٩٩٢.

٤٣. طلال علامة : تطور النحو العربى فى مدرستى البصرة والكوفة / دار الفكر اللبناني /بيروت/ ط١ ١٩٩٢.

٤٤. عباس حسن : اللغة والنحو بين القديم والحديث / دار المعارف / مصر / ط١ ١٩٦٦م.

٤٥. عبد العال سالم مكرم : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية / دار المعارف / مصر/ ط١ ١٩٦٨م.

٤٦. عبد الهادي الفضلي : تاريخ القراءات القرآنية / دار القلم / بيروت / د.ط/د.ت.

٤٧. عبد الهادي الفضلي : دراسات في الإعراب / تهامة للنشر / جدة / ط١ ١٩٨٤م.

٤٨. عبد الهادي الفضلي : مراكز الدراسات النحوية / مكتبة المنار / الأردن / ط١ ١٩٨٦م.

٤٩. فتحي عبد الفتاح الدجني:أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي/ الكويت/ وكالة المطبوعات/ط١ ١٩٨٤

٥٠. الفراء (يحي بن زياد ت٢٠٧هـ) معاني القرآن (بتحقيق : محمد علي النجار ، أحمد يوسف نجاتي) عالم الكتب / بيروت / ط٣ ١٩٨٣م.

٥١. القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت٦٤٦هـ) :إنباه الرواة على أنباه النحاة(تحقيق:محمد أبي الفضل إبراهيم) دار الفكر العربي / القاهرة / ط١ ١٩٦٦م

٥٢. مازن المبارك : النحو العربي - العلة النحوية نشأتها وتاريخها / دار الفكر / دمشق / د.ط ، د.ت.

٥٣. مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (١٩٣٢ -١٩٦٢) / مجموعة القرارات العلمية .

٥٤. محمد عيد : أصول النحو العربي : عالم الكتب ــ القاهرة ــ ط ٤ ــ ١٤١٠ ــ ١٩٨٩م.

٥٥. محمد إبراهيم عبادة : الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه / مكتبة الآداب / القاهرة /٢٠٠٢ م.

٥٦. محمد أبوالقاسم حسن : النحو العربي في القرنين الخامس والسادس الهجريين- التطور والتجديد / رسالة ماجستير غير منشورة / مكتبة الدراسات العليا جامعة القرآن الكريم / أم درمان /٢٠٠٢ م.

٥٧. محمد الطنطاوي : نشأة النحو: دار المعارف / مصر / ط٢ ١٩٦٨ .

٥٨. محمد المختار ولد أباه : تاريخ النحو العربي / دارالكتب العلمية بيروت / ط٢ ٢٠٠٨م .

٥٩. محمد حسن محمد طه : المذهب البغدادي في النحو العربي (رسالة دكتوراه غير منشورة) بأشراف د. أحمد خالد بابكر / ج.القرآن ١٩٩٧.

٦٠. محمد حسين صبرة : ثمرة الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين :دار غريب /القاهرة/ط١ ٢٠٠١م.

٦١. محمود أحمد نحلة : أصول النحو العربي : دار العلوم العربية / بيروت / ط١ ١٩٨٧م

٦٢. مهدي المخزومي : عبقري من البصرة / دار الرائد العربي / بيروت / ط٢ ١٩٨٦م.

٦٣. ياقوت الحموي : معجم الأدباء (تحقيق إحسان عباس)/ دار صادر / بيروت / ط١ ١٩٥٧م.

المحتويات

الموضوع		الصفحة
إهداء		ج
مقدمة		١
تمهيد		٣
القسم الأول : في نشأة النحو		
	(١) أسباب وضع النحو	٨
	(٢) أول من وضع النحو وأول ما وضع فيه	١٣
	(٣) تلاميذ أبي الأسود ومن تلاهم	٢٠
	(٤) الخليل وسيبويه وتكامل بناء النحو	٢٦
القسم الثاني : أصول النحو العربي		
	(١) التعريف بعلم أصول النحو وبداياته	٤٢
	(٢) الأصول الأربعة وما يتصل بها	٥٥
القسم الثالث : الخلاف النحوي		
	(١) نشأة النحو الكوفي	٦٧
	(٢) أسباب الخلاف بين البصريين والكوفيين ومظاهره	٧٣
	(٣) مسائل الخلاف والتأليف فيها	٨١
٨٤	(٤) نتائج الخلاف بين البصرة والكوفة	٨٤
	(٥) انتقال النحو لبغداد وانتشاره في البلدان	٨٥
خاتمة		٩٥
المصادر والمراجع		٩٨

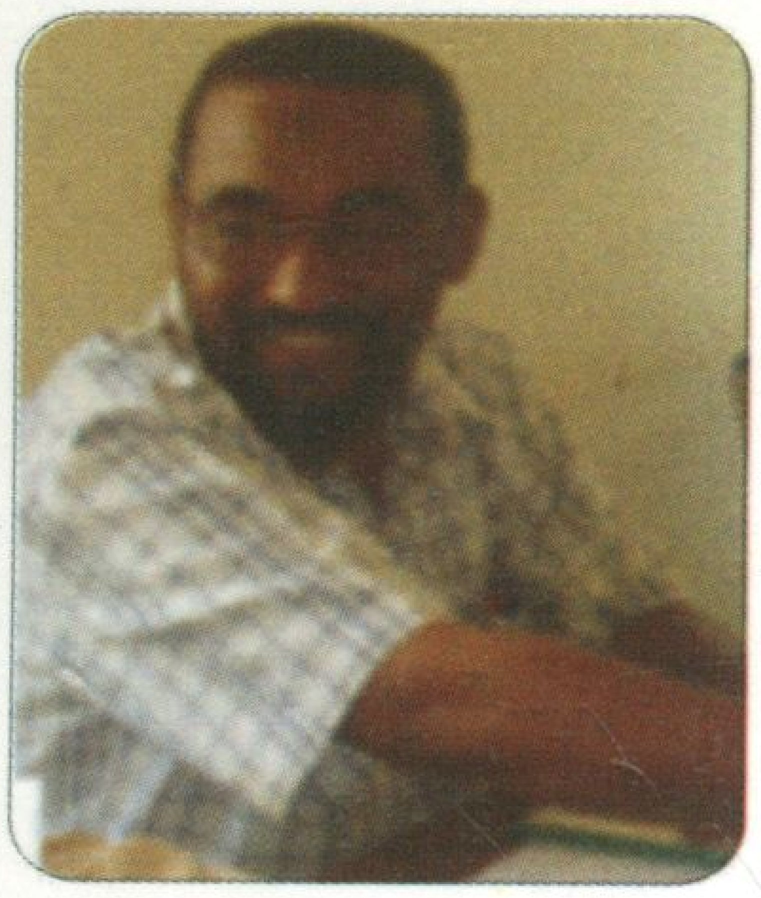

المؤلف :-

❖ د. محمد أبو القاسم حسن عباس

❖ الميلاد: الخرطوم ١٩٦٥م ، الأصل : ريفي الدامر

❖ الحالة الاجتماعية : متزوج وأب.

❖ العنوان: الخرطوم ، الحاج يوسف.

❖ بريد الكتروني : mohdgasim1114@gmail.com

❖ درجة التخصص العليا (دكتوراة) ٢٠٠٧م ، والصغرى (ماجستير) ٢٠٠١م نحو وصرف/ جامعة القرآن الكريم ، والإجازة العليا (ليسانس) آداب لغة عربية / جامعة القاهرة فرع الخرطوم ١٩٩٢م.

❖ عمل معلماً بالمرحلة المتوسطة ثم الثانوية ثم محاضرا ثم أستاذاً مساعداً بجامعة القرآن الكريم ؛ تعاون مصححاً وكاتباً بعدة صحف ومجلات.

❖ عمل مدرباً ومستشاراً وإدارياً تدريبياً بعدة جهات.

❖ تدرب في ٢٤دورة في التدريس والتدريب والإدارة والتنمية البشرية.

❖ أعد وشارك في إعداد مقررات جامعية (٢٠٠٢-٢٠١٠) ، وصمم -وشارك في التصميم- مناهج تدريبية (١٩٩١-٢٠١١م) .

❖ شارك بمحافل علمية وإعلامية وعامة، بجهات منها : (جامعة الكريم ، جامعة السودان المفتوحة ، مراكز دراسات وبحوث وصحف المجلس القومي للصحافة ، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ا القومي للتدريب ، وزارة تنمية الموارد البشرية).

جميع حقوق الطبع محفوظة لدي المؤلف

Bibliotheca Alexandrina 1195121

رقم الأيداع: ١٥١ - ٢٠١٢م   ردمك : ISBN : 978-99942-60-37-9